السنة الخامسة　　العدد ٧　　١ نيسان سنة ١٩٠٢

المشرق

السمك الكهربائي وكهربائية الحيوان

بقلم الاديب شحاته خزام احد طلبة مكتبنا الطبي

لقد ادرك الخاص والعام ولاسيما في هذه السنين الاخيرة ما لعلم الكهربائيَّة دون سائر الفروع الطبيعيَّة من الفوائد الجمَّة والمزايا التي لا تُحصر في دائرة المعارف والفنون ولقد طالما كثرت النظريَّات وزاد التنقيب سبرًا لغور هذا العلم الجليل حتى تنوَّعت فيهِ المواضيع وغزرت الموادّ لدى المشتغلين بهِ والمطالعين. بل قلَّما يشاهَد بحثٌ او اكتشاف الَّا وللكهربائية فيهِ اعظم سرٍّ واقوى عامل

ولمَّا كان في الطبيعة من غرائب المخلوقات امثلة عديدة تستلفت انظار الباحثين من هذا القبيل رُغب الينا ان نكتب ولو كلمة وجيزة عن الكهربائية الحيوانيَّة عمومًا وما يشاهد منها عند بعض الاسماك خصوصًا لما في ذلك من الفوائد التي لا تخفى اهميَّتها على العاقل اللبيب. فتحقيقًا لهذه الرغائب السامية نقول وعلى الله الاتكال طالبين من المتقدين المعذرة وفضل الاغضاء

منذ أواخر القرن الثامن عشر اي على عهد كلفاني وڤلطا عقيب ابحاث مطوَّلة ودرس دقيق قد اثبت العلامة يوحنَّا ألديني (J. Aldini) ابن اخت كلفاني المذكور وجود مجارٍ كهربائيَّة في تركيب الحيوان الحي تجري من السطح الخارج او البشرة الى السطح الداخل المخاطي وبرهن على ذلك بعدة تجارب (١ اقرَّ على صحَّتها كثير من

---

١) اخص هذه التجارب انهُ اخذ رأس ثور قد ذُبح حديثًا واتى بفخذ ضفدع وجعل عصب الفخذ يمسّ لسان الثور بينما كان يمسك فخذ الضفدع بيدهِ مبلَّلة بماء مالح وباليد الاخرى المبالة ايضًا

الطبيعيين معاصريه ولاسيّما غالفاني الشهير الذي عضده كثيرًا في اكتشافاته حتى نُسب اليه فرع الكهربائية الحيوانية بتمامه من ذاك العهد فدُعي باسم الكهربائية الكلفانية (Electricité galvanique)

غير انهُ من اعجب ظواهر الكهربائية الحيوانية وابهجها منظرًا في اعين الناقدين هي بلا مراء تلك التي تظهر طبيعيًا في بعض انواع من السمك يعرفها الكثيرون وهي مشهورة خصوصًا عند جماعة الصيادين الذين يحسبون في صيدها الف حساب لاتقاء اضرارها. ويوجد منها نحو عشرين نوعًا منتشرة في سائر بحار الدنيا وانهارها المختلفة. واخصّ هذه الانواع اربعة وهي: الرعّاد والانكليس الاميركاني والفترة والورنك. وهاك تفصيلها واوصافها واذا ما انتهينا من وصفها اثبتنا ما يختصّ بجهازها الكهربائي واستطردنا الى بيان خواص الكهربائية الحيوانية

١ الرعّاد

ويُقال لهُ الرعّاش واسمهُ باللغة اللاتينية توربيدو (torpedo) وبالافرنسية تورپيل (torpille) ومنهُ اشتقّوا اسم النسّافة فدعوها على سبيل المجاز باسم السمكة توربيلا

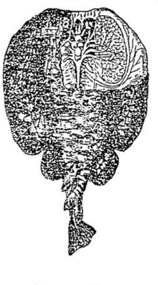
والرعّاد نوع من السمك قلّما يعيش في الانهار وانّما موطنهُ غور البحار وخصوصًا البحر المتوسط وسواحل اوربة الغربية وسواحل الاتلنتيك من اميركة الشمالية لهُ هيئة مُقرطحة ويختلف طولهُ بين عدّة قراريط الى عدّة اقدام. وهو من جنس الاسماك الغضروفية (sélaciens) من طائفة الاسماك المستديرة الفم (plagiostomes) ويقرب من سمك اللخّاء المعروف بسمك ابي مشط (raie) غير انهُ يمتاز عنهُ بكون جسمه مجرّدًا من الفلوس (القشور) مستديرًا عند مقدّمته وينتهي بذنب لحم ثخين قصير اسطواني الطرف ذي شكل حلقي غريب تعلو جانبيه المقعّرين ثنيّات ظاهرة. ثم ان زعانفهُ الصدرية كبيرة خالية من الشوك. امّا زعانفهُ البطنية التي هي عادةً اثنتان

بالماء المالح أذن الثور كي تتم الدائرة الكهربائية. فتقلّص حينئذٍ الفخذ واستدلّ بذلك على وجود مجرى كهربائي في الحيوان. وكذلك يتبين الامر اذا وضع المختبر عصب فخذ الضفدع الوركي على لسانه وامسك خالبهُ بيده مبللة بماء مالح فان مقياس الكهربائية المعروف بالكلفانومتر السريع التأثر يبين وجود تلك الكهربائية عند اتمام الدائرة المذكورة

فوقهما في موخر جسمهِ على مقربة من الشرج حيث الجهاز التناسلي

ويُعرف هذا النوع بكونهِ ذات هيكل غضروفي مع اثر اضلاع ولهُ جمجمة اجزاؤها ملتحمة ببعضها تماماً وكل الرأس مرتبط بالعامود الفقري. وبفكَّيهِ اسنان عديدة حادَّة تنتهي في الغالب باطراف مخروطة الشكل بارزة عن الشفاه قليلاً. وفمهُ هلالي يُرى تحت الخرطوم من خلفهِ كما ان لعينيهِ اجفاناً واغشية ترفرف. ووراء ذاك الفم يوجد صماخان يقابلان الاذن الخارجة ويتصلان بالحلق وهما عبارة عن فرجتين لقذف الماء. اما الخياشيم فموضوعة على اقواس غضروفيَّة كائنة ضمن اكياس منفصلة عن بعضها ومتصلة بالخارج بواسطة ثقوب عمودية. ثمَّ امعاؤهُ قصيرة تلي المعدة مباشرةً. والمعدة عريضة بها صمامات حلزونيَّة. وفي قلبهِ مخروط شرياني عليهِ جملة صمامات ايضاً مرتبة على هيئة خطوط متساوية

والرعَّاد المشهور في البحر المتوسط يسمَّى الرعاد المرمري (torpedo marmorata) ورعَّاد كلفاني (torpedo Galvani) وهو اسمر اللون فيهِ بُقع ضاربة الى السواد.



الشكل الاول . الرعَّاد

ومن الرعاد المبقَّع في البحر المتوسَّط ما يُدعى ذا العيون (torpedo ocellata) او رعاد نارك (torpedo Nark) ولونهُ احمر ضارب الى الصفرة يُرى فيهِ بقعة واحدة او اكثر الى الخمس وهي مستديرة زرقاء تضرب الى الشهبة تحيط بها منطقة سمراء ونقط قليلة بيضاء وفي الاسفل يميل بياضها الى الشهبة. وفي خليج العجم والبحر الهندي هذان الضربان كلاهما واهل سواحل البحر المتوسّط يصطادونهما فيأكلونهما. ويقتات الرعَّاد في الغالب بما يصيبهُ من الاسماك الصغيرة وهو يستقرّ في الوحل والرمل في قعر البحر

وكنيَّة تولَّد هذه الاسماك يحصل بواسطة جماع حقيقي بين الذكر والانثى ينتج منهُ علوق داخلي . اما البيض ففيهِ اثر اجنحة ولهُ بعض زوائد اشبه شيء بالقرون . ومن خواصّ الجنين انهُ عند تكوينهِ يتصل بعضو يشبه المشيمة في وضعهِ وصفاتهِ وللرعَّاد دماغ عليهِ رسم لقانف . ولهُ مخاع شوكي وفقرات ممتازة

امَّا جهازهُ الكهربائي التي تفرَّدت بهِ عموم هذه الطائفة فهو عبارة عن كُتلتين على كل من جانبي الجمجمة واحدةٌ في مكان بين الرأس والخياشيم من الوراء والحافة الداخلة من الزعانف الصدريَّة من الأمام (وسيأتي شرحهُ فيما يلي)

ولقد كانت خاصيَّة هذا النوع من السمك معروفة منذ الاعصر الخالية عند قدماء الطبيعيين وكثير من المؤرخين والاطباء . وحسبنا بذلك شاهدًا انَّ الفيلسوف اليوناني الشهير ارسطوطاليس وصف الرعَّاد بقولهِ : « ان هذا السمك يسبب خدرًا للاسماك التي يريد ان يصطادها فاذا اخذت تلك الاسماكَ فترةُ التقمها بفمهِ واغتذى بها » . واشار اليهِ الطبيعي بلينيوس الروماني فقال : « ان هذه السمكة اذا مُسَّت بقضيب او بحربة ولو عن بُعد شنَّجت اقوى العضلات » . وقال عنهُ جالينوس الطبيب : « هو الحيوان البحري الذي يُحدث الخدر . وقد ذكر قوم انهُ ان أُدني من رأس من يشتكي الصداع او من مقعدة المصاب بانقلاب المقعدة برئ كلاهما من دائهما لكني جرَّبت الامرين بلا فائدة . ففكَّرت ان أُدنيهُ من رأس صاحب الصداع والحيوانُ حيٌّ بعدُ لانني ظننتُ انهُ على هذه الحال يكون دواء يسكّن الصداع بمنزلة الادوية الاخر التي تخدر الحس فوجدتهُ ينفع ما دام حيًّا » . وجاء مثل هذا لديسقوريدس الشهير

امَّا علماء العرب ومشاهير رواتهم فقد اكثروا من وصف الرعَّاد منهم القزويني قال : « الرعادة سمكة بحريَّة صغيرة مخدِّرة جدًّا من خاصيَّتها انها اذا وقعت في الشبكة لا يقدر احد على امساك الحبل ولو كان الحبل طويلًا . . . والصيادون يعرفون ذلك فاذا احسُّوا بهِ شدُّوا حبل الشبكة في شجر او حجر او وتد حتى تموت السمكة فاذا ماتت زالت خاصيَّتها . واطباء الهند يستعملونها في الامراض الشديدة الحرارة واماَّ استعمالها في الاقاليم الستة فلا يمكن » . وقال الشيخ الرئيس ابن سينا : « الرعَّاد الحي اذا قُرِّب من المصدوع اخدرهُ عن الحس » . وحدَّث عنها ابن البيطار فقال : « رأيت بساحل مدينتي مالقة من بلاد الاندلس تجرف الجراريف بها وتحمل في البحر فيخرج

اليهم سمكة عريضة يسمونها العرونة وهي مفرطحة الشكل لون ظاهرها لون رعَّاد مصر سواء وباطنها ابيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعَّاد مصر او اشدّ الَّا انها لا تؤكل البتة . ولقد بلغني ممَّن اثق به ان أقواماً كان بهم جهد ولم يعلموا امرها فشووها واكلوها فماتوا كلهم في ساعة واحدة »

وممن اطالوا في وصفها عبد اللطيف البغدادي في كتابه « الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة بارض مصر » وسنذكر كلامهُ في وصفنا للفترة

وزعم اخيرًا بعضهم ان الزيت الذي يطبخ فيه هذا السمك يسكّن اوجاع المفاصل الحرّيقة اذا دُهنت به مواضعها

هذا ما رواهُ نخبة من فطاحل المتقدّمين وجلّ حكمائهم عن الاسماك المشنّجة التي نلقبها الان بالكهربائيّة وعن خواصها . واتّا سوادهم ضمّوها قاطبة تحت اسم واحد فقالوا الرعاد ولم يزيدوا حرفًا كأنَّ جميعها من مفرد نوع ومجرَّد فصيلة مع انها كما لا يخفى من رتب مختلفة وطوائف متباينة واجناس شتى . ذلك عدا ما نسبوهُ اليها من المنافع الغريبة والمزايا التي تظهر لنا اليوم خرافيَّة لاوَّل وهلة وان يكن معها حقائق لا تختلف واياهم في صحّتها

امَّا ما أضاف الى اقوالهم بعضُ الكتَّاب المتأخرين فهو احقُّ بالنظر من سواهُ لجاراته تيَّار العلوم الحديثة والاكتشافات العصريَّة القائمة على ادلَّة البراهين العقليَّة معزَّزة بالاختبارات الصحيحة

قال صاحب « كتاب عجائب البرّ والبحر » عن السمك الرعاد اجمالًا : « ان موطن هذا السمك البحر المتوسط وهو سمك كهربائي اذا امسكهُ الانسان بيديه خدرتا وارتعد . وهو ضخم الجسم يحاكي شكلهُ الرباب ولهُ على بدنهِ ثقوب تشبه قرص الشهد تفرز مادَّة مخاطيَّة لزجة . والسمك الرعَّاد تخافهُ سائر الاسماك لقوَّته الكهربائيَّة فانهُ يصعق اعداءهُ ويفترسها . وفي الابحر الاستوائيَّة اسماك كثيرة من هذا النوع اذا مسَّ احداها عرتك رعدة كأنك تمسك بدولاب البرق . وهو حيوانٌ بطيء الحركة يحبّ ان يدفن نفسهُ في الرمال فاذا امسك به انسان على سبيل الصدفة ثار عليه وارعدهُ وخدَّر اعضاءهُ »

« وقد عثر الناس في هذه الايام على منافعه الكهربائيَّة واستخدم منها الاطباء آلات

لعلاج الامراض العصبيَّة · غير ان في الزمان القديم في عهد انطونيوس وكليوبترا كانوا يستعملون السمك الرعاد لهذه الغاية ايضاً · وذهبوا الى ان هزَّتهُ تبرئ الصداع وآلاماً أخرى · وفي الازمان الحديثة ايضاً كانوا ينصحون للمصابين بمرض النقرس او داء الملوك بوضع ارجلهم على السمك الرعاد حتى تخدر »

وجاء عن بعضهم ما معناهُ: « ان لهذه الاسماك خواصَّ تشبه خواص الكهربائيَّة تماماً فانها تسري على المعادن والماء وباقي الموصلات ولا تسري على الزجاج او مواد أخرى غير موصلة كما هو معلوم عن شؤون الكهربائيَّة »

٣ الانكليس الاميركاني

او الحنكليس واسمهُ باللغة العلميَّة جيمنوتوس (gymnotus) وبهِ يعرفهُ كل الاوروبيين · هو نوع من السمك يوجد خاصةً في انهار اميركا الجنوبيَّة وبطاحها · وهو من طائفة الاسماك ذات النوافج المجوَّفة (physostomes) التي هي من رتبة الاسماك الخالية من الزعانف (apodes) يشبه كثيرًا ثعبان البحر في شكلهِ العام ويبلغ متوسط طولهِ خمسة اذرع تقريباً وقيل انهُ وُجد احياناً بما ينيف على العشرين ذراعاً · امَّا جلدهُ فعارٍ عن الفلوس (القشور) ولهُ نقطتان سابحتان يبلغ طول كل واحدة منهما ذراعان فاكثر

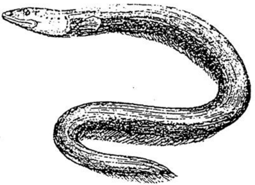
ويُعرف هذا النوع بكون زعانفهِ الشرجية طويلة جدًّا بخلاف زعانفهِ الظهريَّة فانها اثريَّة تكاد لا تظهر · ولهُ منطقة كتفية ممتدة الى الجمجمة حيث تلتحم بها · ويوجد بمعدتهِ كمبٌ على شكل قعر كيس صغير · ثم تحتوي امعاؤهُ على زوائد بوابيَّة متعددة · ولهُ اخيرًا قنابات مبيضيَّة خارجة

امَّا عضواهُ الكهربائيان فهما عبارة عن اساطين مرتبة افقيًّا على جانبي ذنبهِ

واكثر من درس هذا النوع خاصة واختبر احوالهِ بتدقيق هو الباحث الشهير دي ٠ هومبولد (de Humboldt)

وللانكليس الاميركاني هزَّة شديدة بهذا المقدار حتى انها تقتل الرجل مهما كان عاتياً في اقل من لحظة · وهو كالرعاد يغتذي بلحوم الاسماك التي تسبح معهُ بعد ان يكون صرعها وافرغ فيها جعبتهُ ·

وممَّا يروى عن صيد الجيمنوتوس في اميركا الجنوبيَّة ان لصيادي هذا النوع خيلًا



الشكل الثاني . الانكليس الاميركاني الكهربائي

برّية معدَّة لذلك يأتون بها افواجاً الى الانهار او البحيرات التي يكثر فيها السمك المذكور فيدعونها تخوض في لججها ذهاباً واياباً مقدار ردهة من الزمن فيصليها الانكليس حرباً عواناً فاذا ما اضناهُ التعب من جهادهِ معها من جهة ومن تفريغ كهربائيتهِ بتواتر من جهة اخرى اصبح اذ ذاك خائر القوى بطيء الحركة وحينئذٍ ينقض عليهِ اولئك الصيادون فيستولون عليهِ بدون مشقة . غير انهُ قد يحدث احياناً ان كثيراً من تلك الخيل لم تقوَ على احتمال شدة تأثير الكهرباء الواردة اليها فتموت غرقاً قبل ان تشفى من هزات السمك المشنجة . وللانكليس عموماً عادات وطباع تختلف كثيراً عمّا لسائر الاسماك الاخرى وتمتاز بغرابتها . فمن ذلك انهُ في فصل الخريف من كل سنة يرد الى البحار من كل صوب زرافاتٍ عديدة فيتجمع عند مصب الانهار وهناك يتناسل بطريقة لم نُعلم الى الآن تماماً حتى اذا اتى فصل الربيع التالي ينتشر النتاج زُمراً لا تُحصى فيصعد مجاري المياه الى ينابيعها . وقلما شوهد تولد هذا النوع بالمياه العذبة بخلاف ما ذكر . وهو طويل الحياة يعيش مدة في البرّ ويمكن حفظهُ حياً في حوض او ما شاكلهُ عدة سنوات متوالية . وهو يسكن المياه الراكضة ولا يأبى المستنقعات . واكثر سريانهِ في الليل حيث يطلب الاماكن البعيدة الغور

امّا لحمهُ فلذيذ غير انهُ عسر الهضم وخصوصاً للاطفال والطاعنين في السن

٣ القفرة

ويقال لهُ باللغة اللاتينيَّة السيلورس الكهربائي (silurus electricus)۰ هو نوع من السمك يعيش في مياه الانهار العذبة وخصوصاً بتلك التي توجد في البلاد الحارة مثل افريقية واسية وغيرهما۰ وهو من طائفة السيلورس التامَّة العظام (silurus téléostéens) التي هي من رتبة الاسماك ذات النوافج المجوَّفة ايضاً

ويمتاز هذا النوع بصفات خاصة جلها ان رأسهُ كبير مُفرطح عريض فضلًا عن كونهِ مستوي الجوانب۰ وفمهُ ذو شدقٍ واسع يمتدّ الى ما يقرب من منتصف رأسهِ۰ ولهُ اسنان صغيرة متعـددة وشفاهٌ بارزة تنشأ منهـا ستة سبال طويلة اثنتان في الفك الاعلى واربعة في الادنى۰ وعيناهُ صغيرتان منفصلتان عن بعضهما لكنَّهما مقتربتان من زوايا الشفاه۰ وجسمهُ مستطيل نوعاً رقيق في القسم الامامي منهُ ومنخفض في مؤخرتهِ۰ امَّا جلدهُ فاملس محض لا زوائد فيهِ ولا فلوس۰ وزعانفهُ البطنيَّة والظهريَّة صغيرة جدًّا بخلاف زعانفهِ الشرجية والصدريَّة فانهـا نامية كثيرًا وعلى هذه الاخيرة يوجد خط عظمي كبير. لكنَّ زعانفهُ الذيليَّة خالية من العقافات۰ امَّا نفَّاختهُ السابحة فهي عظيمة جدًّا ومتصلة بفتحة الاذن الخارجة

ثم انَّ لحمهُ ذو طعم شهي فيؤكل بلذة ولا يعسر هضمهُ

اما قوَّتهُ الكهربائيَّة فهي اقل ممَّا للرعاد والانكايس الاميركاني ولكنَّها كافيـة مع ذلك لانشاء هزة قويَّة تؤثر تأثيرًا يذكر بجسم الانسان۰ ويوجد هـذا النوع بوفرة في مياه نهر النيل العذبة وكثيرًا ما ذكرهُ المؤرخون وسيَّاح مصر من شرقيين وغربيين الَّا انهم لقَّبوهُ غالبًا بالرعَّاد بوجه عام كما يسميه عامَّة المصريين باعتبـار فعلهِ وليس بالنظر لجنسهِ۰ ولا ننكر انهُ يوجد ايضاً بمصر بعض اجناس من الرعاد الحقيقي ولكن مواطنهُ في أواخر الدلتا عند ملتقى الامواه العذبة بالمالحة اي بثغور رشيد ودميـاط والاسكندرية وما جاورها وليس في اواسط النهر او اعاليهِ كما زعم البعض

وقد يلاحظ ايضاً هذا الالتباس من كلام عبد اللطيف في كتابهِ الشهير عن مصر وعجائبها حيث يقول: « ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لانهُ من امسكها وهي حيَّة ارتعد رعدةً لا يمكنهُ معها ان يتماسك وهي رعدة بقوَّة وخدر شديد وتنمُّل في الاعضاء وثقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسهُ ولا ان يمسك بيدهِ شيئاً اصلًا۰ ويترقى الخدر الى عضدهِ

وكتفهِ والى جنبهِ باسرهِ حين لا يلمسها ايسر لمس في اسرع وقت . وخبرني صيّادها انها اذا وقعت في الشبكة اعترى الصياد ذلك اذا بقي بينهُ وبينها مقدار شبر او اكثر من غير ان يضع يدهُ عليها . وهي اذا ماتت بطلت هذه الخاصيَّة منها . وهي من السمك الذي لا تفليس لهُ ولحمها قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد ثخين في ثخن الاصبع وينسلخ عنها بسهولة ولا يمكن اكلهُ . ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلاً . وذكر من يكثر السباحة بنواحيها انها اذا نفحت بدن السابح خدر الموضع اين كان ساعة بحيث يكاد يسقط . ويكثر باسافل الارض وبالاسكندريَّة »

وقال المسيو جيوفروا (M. Geoffroy) بعد ذكرهِ وصف عبد اللطيف المبهم : « ان لفظة رعاد تطلق في مصر على جنسين من السمك بينهما اختلاف عظيم فالاول وهو الاكثر انتشاراً نوع من السيلورس الكهربائي (silure électrique) يوجد في سائر اقسام النيل من البحيرات التي يخرج منها الى مصبهِ في البحر المتوسط . والثاني وهو قليل نوع آخر من فصيلة الورنك يعيش في سواحل مصر الشماليَّة اي عند مصب النهر فقط وخصوصاً في ثغر الاسكندريَّة »

٤ الوَرنك

وهو المعروف بسمك ابي مشط او سمك اللياء (raie) واسمهُ باللغة العلميَّة رايا (raja) . هو نوع من السمك يوجد في سائر البحار وبعض اجناس منهُ تعيش في اواخر الانهر الكبرى ولاسيما في بلاد المنطقة الحارة كما هو شأن القترة . الّا انهُ يقيم في اعماق المياه الغزيرة . وهو من طائفة الاسماك المستديرة الفم التي هي من رتبة الاسماك الغضروفيَّة اي انهُ قريب للرعاد من حيث الاصل والنسبة

وهو كبير الجسم يبلغ متوسط طولهِ خمسة اذرع تقريباً . جوانبهُ مستوية فطحاء تنشأ منها زعانفهُ الصدريَّة وهي مستعرضة للغاية . وجلدهُ خشن كثير الاشواك وفمهُ في السطح الاسفل من جسمهِ مع الخمس الفتحات المتصلة بالخياشيم واسنانهُ بسيطة مخروطة الشكل وبعينيهِ اجفان واغشية ترفرف . اما زعانفهُ البطنيَّة فصغيرة وكذا ذنبهُ الّا ان هذا الاخير مغطّى كلهُ بالاشواك ولهُ منطقة كتفيَّة كاملة . ثمَّ ان زعانفهُ الصدريَّة ممتدَّة من خرطومهِ الى الزعانف البطنيَّة . وهو يبيض بيضاً اسمر اللون وفي كلّ من جوانبهِ الاربعة زوائد منحنية على شكل عقافات

ولحم سمك اللياء ابيض ناصع غضٌ ولذيذ للغـاية يباع كثيرًا في الموانئ البحريّة وخصوصاً لهُ شهرة عامة في أسواق السواحل الاوربيّة .

وليست كل انواع الورنك ذات خواص كهربائيّة بل بعض اجناس منها فقط يعزها الصيادون وهي تحتوي على الجهاز الكهربائي الذي لا يختلف بكثير عمّا هو في الثلاثة الانواع السابق ذكرها. اما هزّاتها فمؤثرة نوعاً ولكنها اقل ضرراً من سواها من هذا القبيل

ويوجد من هذه الاجناس الكهربائيّة بعض امثلة في سواحل مصر الشماليّة وبحيرات مصر السُّفلى كبحيرة المنزلة ومريوط والبرلس وغيرها. وقد يكون فيهـا ملازماً للرعاد او انواع أخرى كما تقدم بيان ذلك (ستأتي البقيّة)

الاديار القديمة في كسروان

دير ماري شليطا مقبس ودير مـار يوحنا حراش

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبنـاني (لاحق بسابق)

٣ تاريخ دير مار شليطا مقبس من سنة ١٦٢٨ الى ايامنا

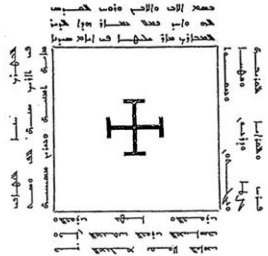
قد تقدَّمنا فاثبتنا نقلًا عن صاحب الكتابة ان القس يوسف محاسب والد القس حنا محاسب اشترى معبـد القديس شليطا وما جاورهُ من الاخربة (١ من ابي يوسف المقيّر من قرية غوسطا وانهُ عهد لابنهِ بامر بناء الدير ولكن لم يكن الامر سهلًا في ذاك الزمان نظرًا لضيق ذات اليد ومقاومة حكّام الجبل وهذان الامران اشار اليهما صاحب الكتابة المحكيّ عنها قال: « ان القس حنا قال لابيهِ نخشى من الحكّام فشاوروا ابن غبروش وكان ساكناً في معراب (٢ وكان كاخي ابن سيفا فعطاهم اذن يعمروا

١) هذه الاخربة هي للجهة الشرقيّة من الدير تمعد عنهُ نحوًا من ٣٠٠ متر ويدعوها العامة « خرايب السويس » وفيها آبار عديدة من اثار الصليبين وا كتشف الفعلة على حجارة ضخمة محكمة النحت عند اشتغالهم بغرس التوت وحتَّى الآن يوجد منها صخور ضخمة وهذا ممّا يثبت انهُ كان هناك قبيلة من سويسرا تسكن بالقرب من هذا المعبد في ايام الصليبين. فدُعيت لذلك « خرائب السويس ». وقد سمعتُ بذكر هذا التقليد من فم أُناس أُثق بعلمهم

٢) قرية حصينة لجهة شمال مار شليطا فيها حصن شهير خاص وحدهُ من الحريق سنة ١٣٠٧

ولكن العمار يكون بالليل لئـلا يعرف ابن سيفا فجاء القس حنا وجمع اهل غوسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت وحلّفهم انهم لا يظهروا الخبر ويكونوا سعدتهُ في المعاونة وابتدوا في العمار وانتهوا سنة ١٦٢٨ مسيحيَّة ومن بعد عمار الدير بسنتين انتقل القس يوسف المذكور وكانت أيام حياته ١٢٠ سنة » انتهى منقولاً بالحرف.

والتاريخ المنقوش على عتبة باب الكنيسة الغربي يشير الى هـذا الحادث باجلى بيان وهو مكتوب باحرف سريانية على الهيئة الآتية (١



فمن هذا التاريخ يتبين حالة طائفتنا في ذلك العصر فان الالفة كانت سائدة بين افرادها رغماً عن الفقر . فكأني بالقرى المسطورة اسماؤها على باب كنيسة مار شليطا

عند خراب كروان كما اشار ابن القلاعي الى ذلك في مختصر تاريخه (راجع المشرق في اثار سراب ٢:٥٩٥)

١) وهـذا مضمونها بحرف عربي: بسم الاب والابن وروح القدس اله واحد . كمل عمار هذا الدير المبارك مار شليطا في ايام سيدنا | البطرك حنّا التطاكي في تاريخ سنة ١٦٢٨ مسيحية | بيد المعلم نقولا الشامي وكان المتني الخوري الحاسب والخوري عطيا والخوري | فرح والقرايا القريبة غسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت

تألبت يدًا واحدة حول الصليب الكريم على مثال قلعة مربعة واعتضدت مع بعضها ومدّت يد المساعدة للقس حنّا الغيور فبنى هذا الدير الذي استمرّ مدّةً طويلة ملجأً للرهبان والراهبات ولبطاركة الطائفة في أيام الضيق وقد قاسى القس يوحنا الغيور من الاضطهاد اصنافًا ووقفت في طريقهِ عقبات جمة تمنعهُ عن اتمام مشروعهِ الخيري فانتصر عليها. والى ذلك يشير صاحب الكتابة قال: «سنة ١٦٣٥ وشي بالقس حنا عند ابن سيفا فامسكهُ وحبسهُ وشفع بهِ ابن غبروش ودفع مبلغ ٣٥٠ غرشًا وتكلّف على عمار الدير ٣٥٠ غرشًا واشترى للدير عقارات واراضي مغروسة من شجر الزيتون بمبلغ ٣٠٠ غرش» امّا البطريرك حنا الذي يشير اليهِ التاريخ فهو يوحنّا مخلوف المتوفى سنة ١٦٣٣

ثم انّ القس حنّا توفي سنة ١٦٤٠ في ٢١ تموز تاركًا الرئاسة لابن اخيهِ سركيس البردوط الشهير. وكان القس حنّا مقيّدًا بسرّ الزواج المقدس وبعد موت امرأتهِ هجر العالم وقضى حياتهُ في الدير الذي سعى في عمارهِ وكان لهُ ولد وحيد اسمهُ الشدياق ايلياس بنى كنيسة ماري سمعان العامودي في قرية غوسطا على ما قال صاحب الكتابة. والى ذلك يشير الدويهي في تاريخ الازمنة الخطي المحفوظ في مكتبتنا في دير الكريم (١. فانّ علّامتنا بعد ذكرهِ حوادث سنة ١٠٠٥ للهجرة (١٦٤٥م) كما في تاريخهِ المطبوع اورد العبارة الآتية التي لم تُنشر في هذا التاريخ: «وفيها (اي سنة ١٠٥٥ للهجرة) اعتنى الشدياق ايلياس ابن القس حنّا الخاسب مع اهالي

١) ان هذا الكتاب هو بقطع نصف خُطّ دون ادنى ريبة في عصر المؤلف في حياتهِ شلبطا بدليل ان عليهِ بعض حواشٍ بخط يدهِ الكريمة وينتهي الى سنة ١٧٠٤ اي سنة وفاة الدويهي. وعند ما وصل الناسخ الى هذه السنة رمى القلم من يدهِ اسفًا (لا نعلم الناسخ) فاخذهُ كاتب آخر (ولعلهُ المطران يوسف الحصروني كاتب اسرار الدويهي الذي رقاهُ هذا البطريرك الى كرسي اسقفية طرابلس سنة ١٦٧٥ كما يشير الى ذلك في تاريخهِ) وكتب ما يلي من العبارات التي تحرك الدموع في المآقي نوردها بحروفها: «سنة ١٧٠٤ م في ٣ ايار صوت سمع في لبنان الموارنة يبكون وينتحبون على فقد ابيهم وراعيهم القديس الاب ماري اسطفانوس بطرس البطريرك الانطاكي الدويهي المعظم ولم يريدوا يتعزوا لفقده لانهُ لم يكن». ثم يبدأ هذا الكاتب يسرد حياة هذا البطريرك العلامة وفي هذه الترجمة تفاصيل لا توجد في ترجمة حياتهِ التي كتبها سمعان عواد والتي علقها طابع تاريخهِ الفاضل على اول الكتاب سنوردها ان شاء الله في العدد الاتي ضنًّا بها من الضياع لاسيما وقد فتح لنا المشرق بابًا لنشر مآثر الافاضل كالعلامة الدويهي ومن ماثلهُ علمًا وعملًا

غوسطا وجدَّدوا كنيسة مار سمعان(١ ». وكان للقس حنَّا المذكور ابنتان الواحدة تدعى رفقة وهي التي رأسها البطريرك يوسف حابيب على دير ماري يوحنَّا حراش وسترى ذكرها في محلهِ والاخرى لا نعرف اسمها كانت زوجة القسّ حنا الشمالي الدرعوني ولدت بنتاً اسمها مريم خلفت خالتها رفقة في الرئاسة على دير حراش وهي الرئيسة الثانية كما سترى ذلك في محلهِ

وكانت مدَّة رئاسة القس حنا على الدير ١٢ سنة وفي هــذه الحقبة لا نعرف شيئاً مهمًّا عمَّا جرى في هذا الدير سوى انهُ انضمَّ اليهِ بعض رهبان وراهبات « عملًا بالعادة القديمة في الاديار المزدوجة التي ابطلها المجمع اللبناني » وكانوا على ما يظهر قليلي العدد وانما اخذوا في الازدياد في أيام ابن اخيهِ البردوط سركيس خلفــهِ. ونعرف ايضاً من صكوك الدير ومن كتابة للعلامة الدويهي سنوردها بحروفها ان المطران يوسف حليب مؤسس دير مار يوحنَّا حراش فوَّض القس حنَّا بطاحونٍ في وادي حراش (وترى الى يومنا

١) ليسمح لنا المطالع ان نسرد تاريخ هذه الكنيسة بناءً على ما توصلنا اليهِ من كتابة علقها القس رزق الدويهي على هامش الشحيم السرياني (طبعة رومية) وهذا الكتاب محفوظ في خزانة هذه الكنيسة وهاك الكتابة بحروفها. « لمَّا كان تاريخ سنة ١حــ اي سنة ١٧٠٨ م على يد احقر الناس القس رزق الدويهي الهدناني صار بدو عمارة الهيكل الشريف القديس مار سمعان العمودي في قرية غوسطا وفي سنة ١٧٠٩ ١حهـ كان عقد باب التيلي والشبابيك الغربية على يد المعلم سالم القدسي وفي سنة ١٧١٠ في شهر تموز فكّينا قالب القصبة والمنية في الكنيسة المذكورة وفي شهر ايلول صار تخربيها وكان يوم عيدها وما فينا عملنا البد من عوز الذبيحة وفي هذا الشهر صار الرأي في حفر وتنزيل المشخاشات داخل الكنيسة ». ويظهر ان القس رزق كان كاهن الرعيَّة فناق هذه الكتابة على الشحيم والمراد هنا بمار الكنيسة توسيعها فان من نظر الكنيسة لاولَ وهلة من جهة الشرق حكم بانها من عهد الشدياق ايلياس ابن القس حنا محاسب فان طريقة البناء ولون الحجارة وحدثان الزمان يشهد لقدمها واما القسم الغربي وما جاورهُ من الجنوب والشمال الى بابي الكنيسة الجنوبي والشمالي فهو من عهد القس رزق المشار اليهِ وعلى باب الكنيسة الجنوبي التاريخ الآتي منقوشاً على العتبة باحرف عربية: « بسم الله الحي انشأ هذا الهيكل على اسم القديس سمعان واعتنى بهِ المشايخ اولاد المرحوم الشيخ فيَّاض الخازن يرجو شفاعتهُ من تشرَّف (اشترك) بهِ أمين. وكان الفراغ منهُ اول كانون الاول سنة ١٧١٤ سنة ١١٢٥ للهجرة » والفرق بين هذا التاريخ وتاريخ القس رزق ٤ سنوات فكأنَّ البلاطة الموضوعة فوق عتبة الكنيسة لم تكن نُقشت سنة ١٧١٠ بل سنة ١٧١٤. ثم انهُ يوجد على الورقة نفسها التي كتب عليها القس رزق ما نقلناهُ سابقاً الكتابة الاتية: « سنة ١٨١٥ تجدد تكريسها من المطران انطون الخازن في اول ايلول سنة ١٨١٥ »

هذا) واخذ من القس حنا محلاً بالقرب من كنيسة دير مار شليطا عيّنهُ لسكنى البطاركة وهو المحل الذي زاد في بنائهِ الدويهي كما يشير الى ذلك بتاريخهِ وهذا المحل يدعى حتى الآن «حارة ماري بطرس» وسنأتي بكلام مشبع على هذا البناء عند كلامنا على تجديد الكنيسة في أيام القس حنا الرئيس الثالث على الدير. غير ان البطريرك يوسف حليب الذي جرت المفاوضة بينهُ وبين القس حنا الرئيس الاول كما تقدم لم يسكن في مار شليطا بل في مار يوحنا حراش وبعد وفاتهِ سنة ١٦٤٨ دُفن في كنيسة مار بطرس المنقورة في الشقيف في الماقورة سقط رأسهِ كما روى الدويهي. وخلفهُ يوحنا الصفراوي ولا نعلم عن هذا البطريرك أسكن مدة من الزمان في حارة مار بطرس في مار شليطا أم لا. اما البطريرك جرجس البسبعلي خلفهُ (وليس السبعلي كما يكتبهُ البعض) فمن المؤكد انهُ سكن الحارة المذكورة وتوفي فيها بداء الطاعون ولذا لم يُدفن في الكنيسة بل في مدفن لجهة الجنوب الغربي من الكنيسة والى عهدنا تُشاهد جمجمة هذا البطريرك وبقايا رفاتهِ الكريمة من خلال نافذة. وعلى صخر بالقرب من مدفنهِ تاريخ وفاتهِ بالسريانية ننقلهُ بالحرف وهو بلا شك من جملة مآثر الدويهي المغرم بالتاريخ لعلهُ امر بنقشهِ اذ خلف البسبعلي توًّا وهاكهُ بحرفهِ:

ܠܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܐܬܬܢܝܚ ܒܩܒܪܐ ܗܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪܘܢܝܐ ܡܢ ܒܣܒܥܠ ܒܫܢܬ ܐܦܥ ܢܝܣܢ (١

وقد حان لنا الآن ان نورد صورة الكتابة التي كتبها الدويهي الى القس حنا الرئيس الثالث على دير مار شليطا والى الرئيسة مريم ابنة اخت الرئيسة رفقة الرئيسة الاولى على دير حراش وهذه الكتابة عثرنا عليها بين اوراق مار شليطا نثبتها بنصها بالحرف:

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪ̈ (٢

(مكان الختم)

البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالّة على اولادنا العزاز الخوري حنا رئيس دير مار شليطا وابنتنا مريم رئيسة دير ماري يوحنا حراش. اولاً نزيد كثرة الاشواق الى رؤياكم بكل خير وعافية. وبعد بلغنا انه صار يتكم خلف بسبب الزبرة (٣ والطاحون الخربانة وجانا

---

١) السبح لله رقد بهذا القبر جرجس بطرس بطريرك انطاكية الماروني من بسبعل سنة ١٦٧٠ نيسان ٢) اي اسطفان بطرس بطريرك انطاكية الماروني

٣) الزبرة في عرف العامة الارض التي تكون على شاطئ مجرى المياه مهيأة للزرع

هذا) واخذ من القس حنا محلاً بالقرب من كنيسة دير مار شليطا عيَّنهُ لسكنى البطاركة وهو المحل الذي زاد في بنائهِ الدويهي كما يشير الى ذلك بتاريخهِ وهذا المحل يدعى حتى الآن « حارة ماري بطرس » وسنأتي بكلام مشبع على هذا البناء عند كلامنا على تجديد الكنيسة في أيام القس حنا الرئيس الثالث على الدير . غير ان البطريرك يوسف حليب الذي جرت المفاوضة بينهُ وبين القس حنا الرئيس الاول كما تقدَّم لم يسكن في مار شليطا بل في مار يوحنا حراش وبعد وفاتهِ سنة ١٦٤٨ دُفن في كنيسة مار بطرس المنقورة في الشقيف في الماقورة مسقط رأسهِ كما روى الدويهي . وخلفهُ يوحنا الصفراوي ولا نعلم عن هذا البطريرك أسكن مدة من الزمان في حارة مار بطرس في مار شليطا أم لا . اما البطريرك جرجس البسبعلي خلفهُ (وليس السبعلي كما يكتبهُ البعض) فمن المؤكد انهُ سكن الحارة المذكورة وتوفي فيها بداء الطاعون ولذا لم يُدفن في الكنيسة بل في مدفن لجهة الجنوب الغربي من الكنيسة والى عهدنا تُشاهد جمجمة هذا البطريرك وبقايا رفاتهِ الكريمة من خلال نافذة . وعلى صخر بالقرب من مدفنهِ تاريخ وفاتهِ بالسريانيَّة ننقلهُ بالحرف وهو بلا شك من جملة مآثر الدويهي المغرم بالتاريخ لعلَّهُ امر بنقشهِ اذ خلف البسبعلي توًّا وهاكهُ بحرفهِ :

ܫܘܒܚܐ ܠܐܠܗܐ ܗܢܐ ܩܒܪܐ ܕܡܪܝ ܓܘܪܓܝܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪܘܢܝܐ ܕܢܚ ܡܢ ܥܠܡܐ ܒܫܢܬ ܐܚܥ ܒܢܝܣܢ (١

وقد حان لنا الآن ان نورد صورة الكتابة التي كتبها الدويهي الى القس حنا الرئيس الثالث على دير مار شليطا والى الرئيسة مريم ابنة اخت الرئيسة رفقة الرئيسة الاولى على دير حراش وهذه الكتابة عثرنا عليها بين اوراق مار شليطا نثبتها بنصها بالحرف :

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪ̈ (٢

(مكان الختم)

البركة والنعمة وحلول الروح القدس تكون حالَّة على اولادنا المزاز المحوري حنا رئيس دير مار شليطا وابنتنا مريم رئيسة دير ماري يوحنا حراش . اولاً نزيد كثرة الاشواق الى رؤياكم بكل خير وعافية . وبعد بلغنا انه صار ينكم خلف بسبب الزبرة (٣ والطاحون المريانة وجانا

---

١) السبح لله وقد جهذا القبر جرجس بطرس بطريرك انطاكية الماروني من يسبل بسنة ١٦٧٠ نيسان ٢) اي اسطفان بطرس بطريرك انطاكية الماروني

٣) الزبرة في عرف العامَّة الارض التي تكون على شاطئ مجرى المياه مهيَّأة للزرع

الصليب فوق الضريح

للاديب حلمي مصري احد تلامذة مدرستنا الكلية

. . . .

وغبَ ان توارى قرص الجونة وراء هضاب المغرب خرج من قصرهِ شابٌ متشحٌ بالحداد قريح الفؤاد يُستشفُّ من سحنتهِ اثر الحزن الفادح والوجد القادح فسرى كمادتهِ متيمّناً ضريحاً ثوى بهِ قلبهُ على مقربة من عين اصفى من الدمعة وهو ينشد:

اتيتُ كمادتي والشوق نامِ اقوم بذمتي والدمع طامِ
اتيتُ اليك يرشدني هيامي ويسترني الجناح من الظلامِ
وقصدي ثمَّ إهداء السلامَ

ثمَّ القى عصا التسيار بعد ان قطع مسافة نصف ساعة عند قبر من الرخام عليهِ تاريخ فقيدهِ حفَّت بهِ حلقة من الآس والرياحين وظلّلتهُ شجرة الخلاف باغصانها المنسدلة فوقهُ. وجلس في مكانهِ المعتاد واسند رأسهُ على مقدَّم الرمس كانهُ يريد مناجاة دفين القبر وظلَّ هكذا هنيهةً واجماً تحرقهُ الزفرات وتخنقهُ العبرات ويتصاعد بين هذه وتلك انين الشجو والألم:

اتيتُك يا صديقُ على انفرادِ لِلي منك أحظى بالمرادِ
فقمْ حتَّى مَ تبقى في رقادِ وقد كحَّلتَ جفني بالسهادِ
فمهدي منك لحظٌ بابتسامِ

اتيتُك راغباً في ان أراكا فقُم لأليف ودٍّ قد اتاكا
وعفّرَ غضَّ خدّهِ في ثراكا وقبَّلهُ ثلاثاً في هواكا
وناح كنوح ورقاء الحمامِ

ثمَّ رفع عقيرتهُ والدموع تترقرق من شؤونهِ فقال:

ومن عجبي اشتكيتُ من الفراقِ وشبرٌ واحدٌ منعَ التلاقِ

لئن اصبحتَ طيَّ اللحد باقٍ وملتَ الى الافول بلا لحاقِ
فشخصك في الفؤاد مدى الدوامِ

واذ ذاك كان الاديم صافياً والنسيم معافياً وزُهر النجوم تتلألأ في بساط السماء الازرق. فالسكون سائد في هذه الانحاء. لا يطرق السمع الّا خرير الغدير المجاور وحفيفٌ خفيف يتجدَّد عند معانقة الاوراق بعضها لبعض كلّما جرَّ النسيم العاطر ذيلهُ مع عندلة الهزار يسبّح ليلًا على الغصن الزاهر خالق هذا الكون العجيب الباهر فانشأ يقول:

خريرُك يا غدير هو النذيرُ فقد تسري الحياة كما تسيرُ
فهبْ صفتِ الحياة فما المَصيرُ اما مرمى الانام هي القبورُ
اما سير العباد الى الحِمامِ

كفاكَ تميس يا غصن التمائلْ فطرفي عنك في ذا اليوم غافلْ
فطورًا انت بالازهار رافلْ عليك الطير يشدو وهو جاذلْ
ولكن طير قلبي ظلَّ دامي

وانتَ هزارَ حندسة الظلامِ رُوَيدكَ صوتُ صدحِك كالحِمامِ
فَصَهْ اني بغير هواكَ دامِ الست ترى دموعي في انسجامِ
وقلبي في غشاء من سهامِ

ثم اطرق قليلًا وانبعث في انشاده:

سُدًى ترهبين يا دنيا لانّي رويتُ من الشجون وكلّ حزنِ
فليست آلتي مما يُغنّي بكلّ ترنُّمٍ وبكلّ لحنِ
وصوتي صوت نوحٍ لا غرامِ

كأني قد خُلقتُ لكي اقاسي نكالاً حار فيهِ كلُّ آسي
لقد طفحت من الاحزان كاسي وصرتُ بلا انيس او مواسي
لذا الدنيا بعيني كالظلامِ

فما فيها يصير الى الزوالِ ويمسي موطئًا تحتَ النعالِ
وقد يغدو رخيصاً كلُّ غالي وبعد اليسر قد تأتي الليالي
فهل من مسعفٍ من ذا الغرامِ

يذرّ على الملا ملك الضياء ويشملهُ بثوبٍ من جماء
فيحكي الطفل نورُهُ في الضحاء ونصف العمر في كبدِ السماء
ومغربهُ نذير الانصرامِ

ونجمٍ في بساط الافق سائرْ أراهُ وطرفهُ ساهٍ وساهرْ

ونورهُ في الدجى زاهٍ وزاهرْ هوى فوهَبت به كلُّ البصائرْ
فيا أسفي على بدر التمامِ . . .

وبينا كان يتلحن بهـذا الشطر الاخير اذ شعرت عينـهُ بنورٍ ضئيل فاندهر لهُ وسكت بغتةً ورجع الى نفسهِ فرأى ان شعاع القمر خرق اوراق الاغصان التي كانت تظلّلـهُ فاضاء بصرهُ واثار الصليب الذي كان قائمًا على ذروة الجدث فرسم لهُ ظلًّا كاملًا نصب عينيهِ

حينئذٍ التفت ذات اليمين واليسار خشية من عين الرقيب ثم اطرق رويدًا متأملًا في هذا المشهد العجيب ورفع عقيرتهُ يخاطب القمر :

أجئتَ تزورني في حال همّي وتفشع ستر دُجنٍ كاد يعمي
ألا دَعني اموت صريع سهمٍ اصاب حشاشتي وسرى بعظمي
فضاق بفسحة الدنيا مقامي

أجئتَ من العلاء تحلُّ أسري وتبعثُ لي شعاعًا فيهِ بسري
وهل وافيت تكشف ستر امري وتكفيني الظلام فيا لسرّ
ابا وقدَّ السماء أصدق كلامي

وكان فتانا يشخص الى القمر المشرق عليهِ بنورٍ كمِد كأنهُ يناجيه ويسائلهُ ثمَّ حوَّل نظرهُ الى شبح الصليب الذي فوق الضريح فشعر ان قلبهُ يستعذب هذا المنظر لما يجد أمامهُ فيهِ من السلوان فبهت بهِ

وظلَّ طرفةً محدّقًا اليهِ وفكرهُ جائلًا فيهِ حتى تبدَّد عن بصيرتهِ غيهب الحزن الخفي فبرقت اسرَّتهُ وجفّ مدمعهُ الساكب وضاء وجههُ الشاحب وعاد الى سابق نضارتهِ فقال :

صليب مليكنا ربِّ الجلال صليب النور يا ملجا الموالي
اليك انوبُ من قبح الفعالِ وارجو ان ترقَّ لسوء حالي
فبالأرزاء قلبي صار دامي

اراك هنـا فاذا انت فاعلْ اتحرس ذا الضريح عن النوازلْ
اتسكب فوقهُ الاحسان وابلْ وكلٌّ عنهُ في اللذات غافلْ
أتغفل كل ذا لهوى الانامِ

أجَل اني ارى لِمَ انت حاضرْ . فلبس لنير قصد انت ساهرْ
تسائل رحمةً من كلّ سائرْ لمن فيهِ وتجلب كلَّ زائرْ

لِذا جلوك فوق القبر سامي

فانتَ هنا تجيب المستبحا اذا ما جاء يفتقد الضريحا
فيا ربي استمع قلبًا جريحا اليك قد سما جسمًا وروحا
لتغفر ما اقترفهُ من ملام

أأهلَ مودّتي خلّوا شجانا تعالَوا واقصدوا هذا المكانا
وصلّوا للفقيد معي «ابانا» فانَّ يسوع تعزية الحزانى
وحيّوهُ بآيات السلام

. . . .

الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقّق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

(كتبهم الدينيَّة)

يدَّعي المندائيَّة ان لهم كتبًا كثيرةً مُنزلة تكاد لا تُحصى على ما يقولونهُ غير ان النوائب التي انتابتهم والرزايا التي حلَّت بهم وكادت تستأصل شأفتهم لم تُبقِ عندهم الَّا غيضًا من فَيض او قيضًا من بَيْض اي ما لا يتجاوز عدَّهُ الاربعين كتابًا. امَّا الوقوف على هذه الاسفار فيكاد يكون من رابع المستحيلات فانهم يحرصون عليها ولا حرصهم على حياتهم وعرضهم وقناهم كلها جماء. فكم وكم مَن وارتهُ القبور وقُطعت اعضاؤهُ ودُقّت عنقهُ وأُحرق بالنار وهلك غرقًا ضنًا بما في يديه من الكُتب الدينية. هذا وتواريخهم في هذا الصدد تسرد وقائع كثيرة تبيانًا لما ابداهُ المندائيون من الامتناع وشدَّة العزيمة ممَّا يذهل المعقول. وقد جاء هذه البلاد جماعات من الافرنج من أَلمان وفرنسيس وايطاليان وانكليز لمشترى بعض هذه الكتب ودفعوا لكتاب واحدٍ خمسة آلاف فرنك ولكتاب آخر الفين فرجعوا بخُفَّي حنين. ومهما يكن من الامر فان قلَّة هذه المخطوطات في خزائن كتب بلاد الفرنجة مع ما يبذل هؤلاء الاقوام من الاصفر الرنّان ويتكلَّفون لاستحصاله ما يُريهم الموت الاحمر لا بل وما كان منهُ بسائر الأَلوان يُصدّق كلامنا ولا يعود يطلب

منًا برهانًا آخر يدعم هذا البرهان. على انهُ تعالى قيّض لي ان ارى من هذه الاسفار ما لا أُصدّق ان رجلًا آخر رأى بعددها اذ لم اعثر الى الان على كلام يوقفني على مثل ما اقولهُ مع ان اغلب الكتب المؤلفة في الصابئة والمطبوعة في بلاد اوربا او المذكورة اسماؤها في برنامجات خزائن الكتب موجودة عندي. على ان المقام لا يحتمل تفصيلًا فوق ما نوردهُ ولذا نأخذ بذكر بعض هذه الاسفار التي يدّعي اصحابها انها منزلة وان لم تكن كذلك

١ً واول هذه الكتب (الكنزا ربَّا » او «السِدرا ربّا » او « سِدرا دآدم » ومعناها الخزانة العظمى او الكتاب المعظم او كتاب آدم. وقد يكتفون بقولهم: « السدرا » بوجه الاطلاق. وهو اليوم مطبوع على الحجر وقد نشرهُ الاديب ه. بترمن بنصهِ الصابئي في ليبسك وهو قسمان: قسم يميني وقسم شمالي. فاذا مسكتهُ من القسم اليميني يكون القسم الشمالي مقلوبًا اي اعلاهُ اسفلهُ. وبالعكس. واذا مسكتهُ من القسم الشمالي يبدو القسم الآخر مقلوبًا كما تقدم شرحهُ. امّا عهد كتابة اصلهِ فقد تباينت فيهِ الآراء واشتبكت. وكثرت فيهِ المذاهب واحتدمت. فمنهم مَن قال بانهُ اقدم من النصرانية. وهو وهمٌ ظاهر. ومنهم من ذهب الى انهُ من عهد يوحنا الحصور وهو ايضًا وهم. ومنهم من صرّح بكونهِ من المئين الاولى من النصرانية. وهذا يردّهُ ايضًا شواهد كثيرة من الكتاب نفسهِ. ومنهم غير ذلك. هذا واني قد وجدتُ في السفر المذكور نصوصًا كثيرة تؤيد انهُ لم يُكتب قبل سنة ٧٠٨ للمسيح. امّا ذكر هذه الادلّة فلعلّنا نذكرها في مقالة خصوصيّة نسمّيها «بالاداب المندائية اللغويّة» (La littérature mandaïte) هذا واغلب كلام « السدرا » يدور على امور دينيّة منها ترجع الى المعتقد والدين. ومنها ترجع الى القيام بسنن الدين ومنها مخاطبات أُلبست لباس النبوّة. غير ان هذا الثوب الذي يبدو ثخينًا في عيون الصابئة هو في عيون المنتقدين الجابذة شفّافًا يشفّ عمّا وراءهُ من الاكاذيب والاقوال المختلقة الموضوعة المنافية للاصول العقليّة والنقول العامية

٢ً والكتاب الثاني اسمهُ: « دَرَشْا دَيَهْيَ » او « سدرا دَيَهْيَ » اي تعليم يحيى او كتاب يحيى. وهو كتاب احدث من السابق ذكرهُ. وقد أودع نصائح كثيرة وحكمًا

جليّة الّا انها معقودة العُرى بنواحي فرّى عديدة تذهب بنا في هـذا السفر من حلى الآداب وروائع الزواجر

٣ً والكتاب الثالث « القَلَستا » اي كتاب الفرح او الطرب او المديح وهو سِفر خاصّ بسُنن الزواج والاصطباغ الذي يجري في الزواج. واظنُّ ان ما نشرهُ حضرة الدكتور الفاضل اوتنك (Dr. J. Euting.) ليس من القلستا بشيء. بل قد وهم في ترجمته بهذا العنوان ليس الّا. وقد فسَّر المستشرقون لفظة القلستا بغير ما فسَّرناهُ اعتمادًا على نصوص اللغة الارميَّة واصولها لكن هذا مردود عند الصابئة

٤ً والكتاب الرابع « سِدْرا دْنِشْماتا » اي كتاب النفوس وهو يحوي السنن التي يقوم بهـا المندائيّة في الاصطباغ الجاري في ايَّام الآحاد والاعياد وصلاة النزاع وخروج النفس من الجسد ثمّ خروجها من « اردا دْتِبْئِل » اي الارض الى « آلما دْنهورا » اي عالم النور وفيهِ غير ذلك من الصلوات

٥ً والكتاب الخامس: « الدْيوان » بنونين. والبعض يسمّيهِ: « الديوان » وهذه اللفظة معنى تلك. وهو سِفرٌ يُذكر فيهِ قصص بعض الروحانيين مع صورهم وهو عندهم من انفس الكتب المنزلة ولا يكاد يُفتح لاحدٍ واليوم لا يوجد منهُ الّا نسخة واحدة. وندرُ هـذا الكتاب حادثٌ من صعوبة رسم الصور والتماثيل التي فيهِ اذ يُطلب لها مهارة دقيقة

٦ً والكتاب السادس: « تْرِسَّر ألفي شيالا » اي اثنا عشر الف سؤال ويراد بذلك الاسئلة التي ألقاها بعض الروحانيين على « مَلكا دْنهورا » قبل خلق العالم وبعدهُ في ما يخصّ الامور الدينية وفرائض الاساقفة والكهنة والشمامسة والمؤمنين الى غير ذلك من الفوائد المهمّة. ويوجد من هذا الكتاب نسخة ناقصة في باريس في المكتبة الوطنية

٧ً والكتاب السابع: « أسفر مَلْوا شي » والعامة من المندائيّة تسميهِ: « أصفَر مَلْوا شا » ومعناهُ سِفر البروج وقد توسّعوا بلفظة « مَلوا شا » حتى اطلقوها على وقت عَلَق المرأة بالولد وتعلّق هذا الوقت بالبروج. وهو كتاب يستشيرونهُ في تسمية الوليد حينا يذكر ابوهُ او القيم بامرهِ للكاهن الساعة التي وُلد بها الطفل واليوم والشهر فحينئذٍ يبحث الكاهن في هذا السفر عن الساعة التي حُبلت بهِ أمهُ. وبالتالي عن الاسم اللائق

بهِ. وفي هــذا الكتاب امور كثيرة ترجع الى علم الفلك والى علم التنجيم وفيهِ ايضاً صلوات كثيرة ورُقى عديدة تُتلى لكي تكون التمائم فعَّالة في مَن تُكتب لاجلهِ من طرد الامراض والاوصاب وإبعاد النوائب والنوازل وهو قديم الوضع والتأليف واغلب رُقاهُ تشبه الرُقى التي كان يستعملها قدماء الكلدان. وقد عرف هذا الكتاب ابرهيم الحاقلاني اذ قال عنهُ في كتابهِ الموسوم De origine nom. papæ, etc. : *pars altera*, Romæ, 1660 p. 355 ما معرَّبهُ: «أسفر مَلوا رشي مجموعة في علم التنجيم وقد قُسمت فيهِ الكرة الزرقاء الى ٢٤ جزءاً متساوياً اثنا عشر منها ذكور واثنا عشر منها اناث. ويُتخذ للنظر في أيام ولادة الولدان» اه

٨ً والكتاب الثامن «كَداوا كَدَفْيانا» اي كتاب العوذ. وفيــهِ انواع العُوَذ تُقرأ او تُكتب بموجب ظروف الزمان وأحوال اهل البيت وهو غريب في بابهِ لما يذكر فيهِ من انواع الروحانيين والجنّ والارواح النجسة الشريرة

٩ً والكتاب التاسع: «الإنياني» اي الاناشيد او الاغاني. ويُراد بذلك الصلوات الدينيَّة التي تُتلى في اربعة أوقات النهار وفي الليــل وكذلك صلوات خصوصيَّة باليوم الفلاني من كل اسبوع. وفيهِ ذكر السنن المتَّبعة في دفن موتى المندائية الى غير ذلك من الفوائد الجليلة عندهم وهو كتاب يضنُّون بهِ كل الضنّ

١٠ً والكتاب العاشر: «قماها دهيقل زيوا» اي عوذة هيقل زيوا وهو عبارة عن دَرْج كبير فيــهِ أكثر من الف ومائتي سطر وهي عبارة عن تعزيمات شتى يحملها متديّنو الصابئة ويزعمون ان من يلبس هــذا الحجاب لا يؤثر فيهِ سلاح نار او سلاح بتَّار. وهذا الدرج لا يُكتب لاحد ما لم يكن المنداني المُستكتب قد اظهر علامات الصلاح والتقى بما لا مزيد عليهِ. وفي آخر الدَّرْج الاصــلي الذي يُنسخ عليهِ والمحفوظ عند اسقفهم قرأت هذه العبارة: «إزدَهَر إزدهر إزدهر لكلّ أنش لا تكدف» ومعناها: «تحفَّظ ثم تحفَّظ ثم اقول لك تحفَّظ من ان تكتب (القماها) لكلّ من كان او لكلّ احدٍ». وهم يحرصون عليها كل الحرص حتى انهُ لا يجوز لهم ان يدَعوا من لم يكن من دينهم ان «يمسّ» هذا الدرج خوفاً من ان يتنجَّس او يفقــد مفاعيلهُ. واذا فُقد منهم فكلّ ما يبذلونهُ من البيضاء والصفراء في جانب استحصالهِ لا يُعدّ شيئاً مذكوراً

وهناك كتب كثيرة لا يُمكن ايراد اسمائها في هذه المقالة اللهمَّ الَّا ان يُرصد لها نبذة مخصوصة تتمةً للفائدة (ستأتي البقيَّة)

منافع السكَّة البغداديَّة

نظرٌ تجاريٌّ اقتصادي للاب هـ. لامنس اليسوعي

اننا في مجلتنا الماضية قد ذكرنا كثيرًا من الفوائد الناجمة عن خط بغداد ولكن اهميَّة الموضوع تقضي علينا بالعود الى الكلام عنهُ بأكثر إسهاب وسنذكر بالترتيب الفوائد الاقتصاديَّة والعسكريَّة والإداريَّة والعلميَّة المنوطة بهذا المشروع

*

اذا بحثنا اولًا في الفوائد الجمَّة التي تنالها التجارة من انجاز هذا الخطّ الجزيل الاهميَّة رأينا ان الامكنة والمدن التي تمرُّ فيها سكَّة بغداد تستفيد فائدة كبرى لانهُ يصير نقل وارداتها وصادراتها باوفر سرعة واكثر امن. ومعلوم ان اكبر آفة للزراعة في ولايات الاناضول وسوريَّة وما بين النهرين الداخليَّة هي خلوُّها من طرق المواصلات المسهّلة للنقل من ولاية الى اخرى. وقد يتفق بعض الاحيان ان تكون نفقات نقل الحاصيل ضعف قيمتها الحقيقيَّة فيضطرّ التاجر الى بيع حاصلاته في اماكنها بابخس الاثمان فرارًا من مصاريف نقل السلع او شحنها وربَّما حملهُ اليأس على تركها في محلّها فريسةً للتعفُّن والفساد

وامَّا الآن فلا يكون الامر كذلك لان الاراضي الزراعيَّة ومآخذ المعادن تقترب من المدن الكبرى القائمة على طول الخط وتدنو ايضًا من البحر والمرافئ ولا يخفى على البصير ما في ذلك من تحسين قيمة الحاصيل فضلًا عن سلامتها من العطب والفساد اللذين تكون معرَّضة لهما ان أُرسلت مع القوافل في سفر بعيد

ثمَّ ان خط بغداد هذا الكبير سيضحي متبعًا طبيعيًا على نوعٍ ما لاكثر الخطوط الثانويَّة المنشأة في الممالك المحروسة الاسيويَّة التي نجتزئ من ذكرها كلها بذكر الخطَّين

القريبين منا نعني بهما شعبتي مرسين واطنة وخطنا البيروتي الحنوي . واذا كانت بعض هذه المشروعات لم تأتِ بالنتائج الحسنة المرغوبة فسبب ذلك واضح وهو ان هـذه الخطوط محصورة في امكنة قصيرة المدى وغير متصلة ارتباطاً ببعضها فجاء خط بغداد الآن مزيلاً لهذا النقص ومسداً لهذا الخلل مسهّلاً لتمديد خط رياق وحماة الى حلب ومنها الى بغداد . ومتى تمّ ذلك عدل النـاس عن السفر الشاقّ والمخوف بالخاطر في الصحراء واجتنبوا الحرّ الشديد اللافح وأمِنوا المتاعب الجمّة التي يصادفها الراكب في البحر الاحمر والخليج العجمي . ويفضّل المسافرون من الاستانة او بيروت الى الموصل ومن الموصل اليهـا ركوب السكّة الحديديّة لما يجدونهُ فيهـا من موفّرات اسباب الراحة والسرعة وبالتالي من الاقتصاد وقلّة التكاليف

واما تجارة بيروت ومرفأها فانما يستفيدان اعظم فائدة لأنّ هذه المدينة تُصبح بفضل هذا الترتيب كرأس لهذه الخطوط تنتهي اليهِ قسم من المسافرين ومن محاصيـل شمالي سوريّة ومتى اتصلت حلب ببيروت امكن للمسافر من الاولى ان يصل الى الثانية قبل وصولهِ منها الى الاسكندرونة

وهذا البيان يحملنا طبعاً على التطرّق الى الكلام عن احدى منافع هذا التخطيط الاكيدة وهي زيادة عدد الركّاب نعني بهم الألوف المؤلفـة من المسافرين من كلّ الطبقات الذاهبين والآتين بدون انقطاع من اوربا والهنـد بل من الشرق الاقصى . ومن الثابت ان عدداً عظيماً يفضّل هذا الخط الجديد لسرعتهِ لاسيا لتوفّر الوقت عليهم ولهذا قد امعن النظر اصحاب الخطّ البغدادي واحتاطوا للامر بان استصنعوا القواطر السريعة التي يمكنها ان تقطع في الساعة ٧٥ كيلومتراً بما فيهِ مدة الوقوف في المحطات المهيّئة ولعلّها تتجاوزها ايضاً اذا استفادت الشركة من الترخيص الذي يخوّلها اياهُ الامتياز واستخدمت الكهربائيّة . وهبْ انها تستغني عنها فهي تستطيع ايضاً ان تجعل قواطرها تسير من ٦٠ الى ٧٠ كيلومتراً في الساعة

وستكون المسافـة بين الاستانة والخليج العجمي (البصرة) ستين ساعةً وهي المسافة الكائنة بين لندرة والاستانة وعليـه تصبح المسافة بين لندرة والبصرة مائة وعشرين ساعة اي عبارة عن خمسة ايام . والمسافـة من البصرة الى بمباي ١٦٠٠ ميل اي اربعة ايام فيمكن للمسافر ان يقطع المسافة بين عاصمة انكلترة وبمباي بتسعة ايام

عوضاً عن الخمسة عشر يوماً التي يحتاجها اذا اتخذ طريق برندزي وترعة السويس. ومع القسمة الايام اللازمة للوصول الى كلكوتا من لندرة عن طريق الاستانة تصبح المسافة بينهما اربعة عشر يوماً مقابل اثنين وعشرين يوماً عن طريق ترعة السويس. وستخفض ايضاً طريق بغداد الحديديَّة ستة ايام مدة السفر الى بنكوك وسيغون وهنغ كنغ وشنغاي

وهذا تعديل متوسط لانهُ يسهل في مستقبل الحين جمل المسافة بين الاستانة والخليج العجمي خمسين او اربعين ساعة نتخفض المسافة بين لندرة وكلكوتا تقريباً الى النصف

وسيتخذ هذه الطريق اذاً كل الذين يهمهم ربح الوقت من الجنود والمستخدمين ورجال الاشغال مع كثير من السيَّاح وبالاجمال كل المسافرين الموسرين الذين يرغبون مجانبة مشقات السفر وطول مدتهِ بحراً

ولكن تُرى كم يبلغ عدد هؤلاء المسافرين: ان جريدة «معلومات» وضعت احصاء ننقلهُ عنها تاركين لها فيهِ المسؤوليَّة. قالت: ان عدد المسافرين سنويًّا بين الهند وانكلترة يبلغ ١٦٠٠,٠٠٠ وزادت على ذلك ان ثلث هذا العدد سوف يستخدم خط بغداد في سفرهِ اي ٢٠٠,٠٠٠ شخص واماً سائر البلاد الاوربيَّة فهي تظن انهُ يسافر منها واليها للهند والشرق الاقصى نيف و١٠٠,٠٠٠ فاذا افترض ان ثلث هؤلاء ايضاً يتخذ الطريق الحديديَّة فيكون مجموع المسافرين فيها نحو ٢٣٣,٠٠٠ شخص سنويًّا وهذا بلا ريب عدد وافر. ولكنا نصرّح مع الاسف بان عدم وجود احصاء راهن يعوَّل عليهِ يجعلنا في شكّ من صدق هذا التعديل بدون التعرض مع ذلك لنفي ام اثبات صحّتهِ

لم نتكلَّم حتى الآن الَّا عن المسافرين الاجانب اعني الذين يمرون بالممالك المحروسة الاسيويَّة ووجهتهم البلاد القصيَّة. واماً العدد الاكبر من المسافرين فانهُ يكون لا محالة من سكان الولايات الذين يركبون السكة الحديديَّة مسافة تقل او تكثر ويكون عددهم اوفر. وسيضطرّ الى اتخاذ هذه الطريق كل من رغب السفر الى ولاية ما بين النهرين والعراق ممَّن يجبرون ان يستبقوا على اموالهم ويربحوا وقتاً ثميناً ويدفعوا عنهم مشقَّات اسفار متعبة. ومن المؤكد ايضاً انَّ الدول توثر هذا الخط الجديد لتسفير

١) لا نعلم المصدر الذي أُخذ عنهُ هذا الاحصاء

البوسطات الدوليَّة بين اوربَّة والهند والشرق الاقصى لان اهمّ امر تُعنى به هذه الادارات هو سلوك اقرب الطرق واسرعها كما هو دأبها وكل ذلك يكون خطّ بغداد ينبوع موارد لارباح لا ينضب معينها مع ما ينجم عنهُ من الخدم الجزيلة للتمدن "

هلمَّ بنا ننظر الآن فيما اذا كانت التجارة الهنديَّة والصينية تتبع هذا الخط ؟ اننا نرتأي بان السلع الثقيلة التي لا يخشى عليها من السفر الطويل يدوم نقلها في البواخر البحريَّة التي تكفل لها بالكفاية بعض السرعة مع قلة النفقات السفريَّة وامَّا غيرها من الحاصيل الثمينة او المعرضة للتلف مدة السفر البعيد فهي تضطرّ موكدًا الى اتخاذ السكة الحديدية الاوفر سرعةً

ومهما كان من الامر فان خط بغداد لا يأمل عظيم فائدة من التجارة الايرانية. اجل أنهُ يتصل بهذه المملكة بفرع سنديَّة فخانقين ولعلَّهُ يتَّصل بشعب آخر بين البصرة وثغر محمَّرة العجمي القريب ولكن تجارة العجم هي الان بيد روسية وانكلترة ولهاتين الدولتين وسائل لنقل تجارتهما قد اعتادتاها من قبل وألِفتها التجارة الاوربيَّة فلا يُرجى كثيرًا والحالة هذه ان يؤثر الخط البغدادي على خطوطهما الخاصَّة لعدم ارتياحهما اليه واعتبارهما لهُ مباينًا لصالحهما وغاياتهما

*

ولكن اذا لم يتمكَّن الخط البغدادي الَّا من نقل قسم من تجارة العجم فهو يستعيض عنها بالمغانم الناتجة عن المواصلات المحليَّة بحمل منتوجاتها الى قلب المملكة واعادة ولاياتها الى سابق نجاحها الاقتصادي. وفي هذا الاقتصاد منافع كبرى يتحتَّم علينا ذكرها

وخوفًا من ان نبالغ في تعظيم شأن هذا الخط نبدأ باغفال ذكر بعض الانحاء التي لا يرجى منها استخدامهُ في مواصلاتها نعني بها ولايتي بغداد وآطنة لان الاولى تصدر ايراداتها عن طريق دجلة والثانية عن طريقها الحديديَّة الخاصَّة. وعلاوةً عن هذا فان الجمال والقوافل تبقى مدَّةً كما هو شأنها في سوريَّة وقيليقية وان كانت مزاحمتها لخطّ العراق لا تثبت زمانًا طويلًا. وامَّا سائر الاقاليم فليس بامكانها ان تستغني عن الخط الجديد لنقل حاصلاتها نخصّ بالذكر منها ولايات الموصل ودياربكر الواسعة ومتصرفيَّتي الزور واورفا. واذا سُئل ما هي الفوائد الناتجة لخطنا هذا من تلك الجهات

اجبنا بان الموصل ودياربكر هما خطتان مركزيتان مهمتان للعمل والصادرات وسيزيد البخار بلا ريب هـذه الحركة اتساعاً. وعلى مرور الزمان يعود الى بلاد ما بين النهرين غناها الزراعي فتضحي اوفر ازدهاراً من ذي قبل وتحيا فيها تلك المدن العامرة التي كانت تحسب في سالف الاعصار كثرة على مفرق الشرق. وفي هذه المناسبة نذكر بان زراعة القطن كانت حتى الجيل الرابع عشر منتشرة في تلك الولايات تأتي بنتائج وافرة بل لا يزال بعض اهلها مقيمين على زراعة هذا الصنف حتى الان رغماً عن وشك اضمحلاله. فلا مراء انَّ الخطَّ العراقي يحيي هذه الزراعة لا سيَّما انَّ قطن هذه البلاد يضارع في جودته احسن ما يُرى من هـذا الصنف في مصر واميركة. وانسب القاطعات واوفرها صلاحاً لزراعته هي التي يسقيها نهرا بليخ وخابور(١

ويحتوي جبل ارغانا الواقع شمالي دياربكر على منجمين للنحاس وكان يصدر منهما سنويًّا الى بغداد في اوائل الجيـل الماضي نحو ٤٠٠ طن من المعدن. ويمكن ان تضاعف هذه المحاصيل بواسطة استخدام ادوات اتمّ واكمل من الموجودة الان فضلاً عن تسهيل وسائل النقل بانشاء طرق جديدة لهذه الغاية. لأن اقرب معامل طوقات هي على مسافة ٣٩٠ كيلومتراً من السكك الحديدية. واما المرافئ البحرية الاقل بعداً فمرفأ صـصون ويبعد ٥٣٥ كيلومتراً ومرفأ الاسكندرونة ويبعد ٥٤٥ كيلومتراً (٢ ومن هذا يتبيَّن الانقلاب العظيم الذي يحدثهُ في تعدين هذه المنجم الغني انشاء الخط البغدادي. وليس هو المنجم الوحيد الكائن في تلك الانحاء. بل يوجد ايضاً مناجم من الرصاص المخلوط بالكبريت (galène) او بالفضة وقيل انَّ ثمت مناجم ذهبية ايضاً (٣ ولكنها متروكة الآن لم يقم احد على تعدينها. وتحتوي ايضاً هذه البـلاد على فحم لا يخلو من الجودة وان لم يكن من الدرجة الاولى الّا انهُ يصلح استخدامهُ في المصانع والمعامل التي لا يمرّ زمن طويل دون ان تُنشأ في تلك الاطراف

ويرجى نفعاً وفائدةً من المناجم الكائنة في ولاية الموصـل ما يرجى من التي في دياربكر ويوجد في تلك نفس المعادن الموجودة في هذه حتى الذهب واما فحم الموصل

١) راجع رحلة البارون اوبنهيم (Forschungsreise) ص ٩٥ و ٩٦

٢) راجع كتاب جغرافية كوينه (ك ٣ ص ٤٨٣)

٣) راجع جغرافية روكلو في المجلد المختص بآسية (ص ٤١٨)

فهو أوفر وأجود وتحتوي هذه الولاية ايضاً بالقرب من كركوك على معادن للنفط والبترول (راجع المشرق ٣ : ١١٦) . ويمكن لهذا الصنف الاخير ان يزاحم بترول القوقاز الروسي ان لم نقل في الخارج فعلى الاقل في داخلية المملكة والاماكن الكائنة على طول الخط . ولا ريب بان من يطالع مجالتنا هذه يتحقق اهمية الفوائد التي تنجم عن هذا المشروع الجديد

*

ولنبحث الان في النوع الثاني من الفوائد المنتظرة من خط بغداد المتعلقة بالحكومة لأنهُ يعود بالنفع عليها وانما نريد الفوائد الادارية والعسكرية فانّ هذا الخط يصل بقلب المملكة ولايات آسية المتوسطة ومابين النهرين والتي على شاطئ دجلة الاسفل ويربط في بعضها أجزاء هذا الجسم المتفرقة ويجعل للحكومة سبل الحركات أوفر سرعة من الوقت الحاضر وفوق هـذا فانهُ يسهّل وسائل الادارة ويزيد الامن في هذه البلاد السحيقة التي كان تبديل المأمورين فيها يقضي بسفر شهر كامل وبمصاريف باهظة

ولو نظرنا الى المنافع العسكرية رأينا ان هذا الخط سبيلاً لجيش بغداد الحركة بحيث يكون مبيّناً لكلّ طارئ وتتوفّر لديهِ ولجيوش سائر الولايات وسائط التعبية والدفاع مع سرعة تعزيز الكتائب بقوّات جديدة عند مسيس الحاجة وزد على ذلك انهُ يغني عن طريق ترعة السويس والبحر الاحمر البعيدة والتي يمكن العدوّ قطعها وقت الحرب

والحقّ يقال ان الدولة العليّة ادركت اهمية هذه الفوائد وزادتها بان أوجبت على شركة استثمار هذا الخط شروطاً جزيلة النفع للحكومة . ومنها انّ رجال الجندية لا يدفعون الّا ربع التعريفة الاعتيادي . وقد تعهّدت ايضاً الشركة ببناء محطات عسكرية وبتخصيص اربعة ملايين لهذه الغاية وباتخاذ كل حيطة لنقل المهمات الحربية في امن وسرعة . فهذه بلا ريب فوائد كثيرة النفع تهنئ ادارتي النافعة والحربية للحصول عليها

*

ولو سمح لنا المقام لأفضنا في تعداد الفوائد الجمّة العائدة على العلم فهي كثيرة وقد اخذ عالم العلم منذ الآن يستروح من سكّة بغداد روائح النفع ويعلّق عليها الآمال وتكون الفوائد الاولى عائدة على الجغرافية . لان الدروس الاولية والنهائية منها

المتعلّقة في انشاء هذا الخطّ تقتضي بحكم الضرورة بتدقيق الدرس والتعمّق في متاريس الجبال ومجاري المياه. وباختصار القول في طبيعة الاراضي التي تمدّ فيها الخطوط. واضطرارهم الى البحث عن الطريق الاقصر والاوفر كافة يلجئهم لا محالة الى وضع خارطة مدقّقة لتلك الاماكن التي اغلبها مقفرة وبعضها تقريباً مجهول

ولا تكون فوائد العلوم الجيولوجية المتعلّقة بمعرفة هيئة الارض والعلوم النباتية باقل من فوائد العلوم الجغرافية . لان الشركة التي نالت الامتياز ايضاً بتعدين المناجم الواقعة بالقرب من خطها الحديدي تضطرّ الى الاستعانة بمعارف علماء الجيولوجيّة والمعدّنين الذين ينضمّ اليهم بكل تأكيد النباتيون وعلماء الطبيعيّات .

هذا واننا قد بيّنّا فيما سلف ثروة تلك البلاد في المعادن ولعلّ الاعمال والابحاث المزمع اجراؤها سوف تكشف منها ما لم يتّفق بوهمهم فلا يمضي قليل من الزمن حتى نقف على هذه المباحث التي لا يهمّ العلم فقط معرفتها بل تكون بالاخصّ عائدة بالنفع الجزيل على الاقتصاد والصناعة وستكون النتيجة تتابع ابحاث مهمّة يكشف لنا المستقبل عنها الحجاب . واذا قلنا ان جغرافيّة تلك البلدان غير كاملة الايضاح وجب علينا التصريح بان جيولوجيّتها وتاريخها الطبيعي هما مجهولان كل الجهل

واما الفوائد التي تنجم عن هذا الخطّ للتاريخ ولعلم الآثار القديمة فهي تفوق الحصر لان الخطّ يمتدّ في الانحاء التي تُعدّ من اقدم بلدان الدنيا نذكر منها آسية الصغرى مع مدنها القديمة التي لا يُعرف من بقاياها الّا النزر القليل . وشمالي سوريّة التي اكتشف فيها آثار وبقايا الشعوب الحثّيين الغامضة وشواطئ الفرات مع مدنها التي تنتسب الى كل الاجيال وبلاد ما بين النهرين وبابل وعهدها يرتقي الى فردوس عدن واوائل التاريخ البشري

وكنّا نشتهي ان نسهب في الكلام عن هذه الفوائد المهمّة لولا خوفنا من الاطالة المؤدية الى الملل . وفي الشروحات التي مرّت كفاية لبيان اهمّية مشروع الخطّ البغدادي مما يجعله في سلك اعظم الحوادث التي يُسرّ لها محبّو النجاح في الاقتصاد والعلم . ونحسب انفسنا سعداء بان نختم كلامنا كما بدأنا بتكرار آية الشكر والحمد لجلالة المتبوع الاعظم الذي يُعدّ الخطّ البغدادي من اجلّ واكمل مآثر ذاته الملوكانيّة ايّدها الله

حبيس بحيرة قدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

امّا موسى الخادم الامين فكان ينظر الى زين وامرأتهِ اختلاساً نظر المسرور من حسن النتيجة ويزعم في سرّهِ انهُ كان اعظم وسيلة لتصافيهما ولهذا عجب كيف انهما لم يخصّاهُ بكلمة شكر على مساعيهِ في سبيلهما. فهل كان ذلك يا ترى عن استرواء زين وراحيل لهذا الخادم المشهورة امانتهُ ام ان الخادم المذكور استعظم قدر خدماتهِ بزيادة على ما تستحق. والجواب انهُ لم يكن شيء من هذا كلّهِ ولكن الزوجين كانت قد استغرقتهما الافراح بعود عهد الهناء والصفاء الى سابق حالهِ وكان موسى يجهل ان السعادة هي ايضاً من جاليات الأَثرة والخيلاء. مع انهُ كان الواجب ان تبعث المرء الى الانس واللطف. ومن المقرّر ان الانسانَ متى صار الى الشقاء يحبّ ان يلقي تبعة حالتهِ على الغير ولكنهُ متى اصاب نجاحاً فيعزوهُ الى مساعيهِ الخصوصيّة او على الكثير الى حسن طالعهِ وينسى عادةً من كان سبباً لعلاء حظّهِ

امّا ذاك الشيخ البار فانهُ وقف في أعلى الرابية التي ارتفعت عليها صومعتهُ ينظر هنيهةً الى القارب الذي كان ينساب بسرعة على مياه البحيرة الهادئة. فلمّا شاهدهُ قد انتهى الى خليج كفر عبده زفر زفرة خفيفة كانت علامة فرح واسف معاً لان القارب عندما انفصل عن شاطئ الجزيرة صوّر لهُ ان كل ما بقي من العلائق الراهنة التي تربطهُ بهذه الارض قد تقطّعت الى ابد الدهر فلمعت بغتةً عينا هذا الشيخ النبيل وتمثّلت لمخيّلتهِ خواطر كثيرة وتذكارات عديدة كان بعضها بعيداً جدًّا ومن جملتها جبل لبنان ودير حصن سليمان وأُسرة لامبرياك التي تنتمي اليها راحيل وبلاد الغرب وايام شبابهِ في الجندية وقصر بروج ودوق بورغندية وطنهِ وما اشتملت عليهِ من الاراضي الخصبة وقصر ابيهِ الى غير ذلك من التذكارات التي كان يحلو لهُ ترديدها... وقصارى القول انهُ لما رأى كل شيء قد تمّ وراج كونهُ وخرَّ على ركبتيهِ امام مصلوب من خشب وهتف قائلًا: « الآن اطلق يا رب عبدك بسلام فاني قد اتممت باقلّ اساءة ممكنة تلك

المهنة التي ارتضيت بتفويضهـا الى ضعفي . امنحني اللهمَّ ان اتمتع بالسلام الذي ما استطاعت الارض اصلًا ان توليني اياهُ »

وكان زين وراحيل في تلك الاثناء يواصلان سفرهما حتى وصلا الى خيام العرب النازلين في الوعر فاستراحا بضع ساعات في نفس الخيمة التي فيها استراحت راحيل مع خادمها موسى يوم عودتهما للمرة الاولى من زيارة جزيرة قدس ثم جدًّا في المسير

فلمَّا انتهيا الى سهل البقيعة شاهدا كوكبة من الفوارس تلمع خوذهم ورماحهم على نور الشمس ولم يعلم زين هل هم قوم من غُزاة البدو ام من متاولة الهرمل ام بلاد بعلبك . وعلى كل الاحوال قد تخوَّف منهم وحقَّهُ ان يتخوَّف لانهُ كان قد اترل بالأخيرين خسائر عظيمة في ما كان من الأحداث الاخيرة بلبنان . وقد كان خوفهُ خاصَّةً على قرينته فرأى الاصوب والافضل ان يجتنب ملقاهم ولكن الفرصة كانت قد فاتت لان المذكورين كانوا قد ابصروهما من بعيد فقصدوهما فلما صاروا على مسافة قريبة رأى زين مع التعجب انهم قوم لبنانيون من عساكر الامير رزق الله . وكانت الحملة التي اعدَّها الامير المشار اليه على القليعة سريعةً للغاية ومكتومة حتى ان القوم في البترون لم يكونوا يعلمون بشيء من امرها فعند ذلك سألهم مقدَّم البترون قائلًا :

من اين انتم آتون ؟

— من القليعة . قال هـذا زعيم تلك الكوكبة ثم قصَّ على المقدَّم اخبار ما جرى من الحوادث بالتفصيل الشافي وان الامير رزق الله مع بحثهِ البليغ عن منفى الاب يوحنا لم يعرف حتى الان اين هو وانهُ يرى كل ما اتاهُ من الاعمال لا يجدي نفعًا اذا لم يقف على آثار سيدهِ المكرَّم ويعوّض عليهِ كل الاساءة التي انزلها بهِ جوسلين

قال زين : اريحوا بالكم فان الاب يوحنا مقيم الآن في جزيرة بحيرة قدَس وقد ذهبنا اليهِ وتكلمنا معهُ كثيرًا لاقناعهِ بترك المحل المذكور فذهب كلامنا عبثًا . ولا ريب ان الامير رزق الله يكون اسعد منَّا حظًّا

— بناء عليهِ قد وفَّينا مهمَّتنا فما بقي علينا الَّا ان ننهي الخبر الى مولانا الامير

ثمَّ انهم لووا اعنَّـة الخيل وساروا في طريق جبل اللكَّام وانحرف زين وراحيل يسرةً وسارا في جبال عكار وكانت الطريق التي اختاراها طويلة غير انها آمن الطرق المؤدية الى البترون . وكان اعزّ شيء يشتهيانهِ ان يصلا الى قصرهما ليتنعَّما فيهِ بنعيم

السعادة وقضيا اوقاتهما بتبادل الحب والعناية بطفلهما الصغير. واما الماضي فكانا يتزلانه منزلة حلم مشئوم وكلما خطر لهما تذكاره يجتهدان في ابعاده عنهما

٢٤

كما انهُ تعرض للحياة البشريَّة ايام نحس وشقاء. كذلك ايضاً قد تصفو لها السعادة ويبسم لها الحظ وقد ذاقت أُسرة مقدم البترون طعم الامرين

وكان زين وراحيل مقتربان من البترون وقلوبهما تخفق كما سبق الخبر بحركة السرور والابتهاج ولمَّا انتهيا الى جبال الكورة ولاحت لهما تلك المدينة الصغيرة وكزا فرسيهما فورًا تعجيلًا في السير وكانت راحيل اشدّ من بعلها شوقاً الى المنزل العائلي

وعند وصولهما الى البترون وجدا ما لم يكونا بانتظاره من الحظ لانهما ما كادا يطأنّ عتبة القصر حتى استقبلتهما حنَّة اخت راحيل وشقيقها موسى ارشيدياقون انطاكية وهكذا اجتمع لاول مرَّة الباقون في ارض الشام من بيت لجريك بعد انفصالهم مدَّة سنتين

وكان موسى اخو راحيل قد عاد حديثاً من سفره الى روميــة وما كاد ينزل في طرابلس حتى جدَّ مسرعاً الى انطاكية ليؤدّي الى بطريركه حساباً عن نتيجة المهمة التي ذهب في شأنها

وكانت انطاكية عاصمة البلاد السوريَّة في ما سلف من الزمان قد انحطت كثيرًا عن مقام عزّها لان الحروب والزلازل التي تناوبتها لم تبقِ فيها غير خراب ودمار. وكان الناس مع ما حلَّ بهــا من النكبات المتكرّرة يحبّون استيطانها لما تفرَّدت به من حسن الموقع لانها غير بعيدة عن البحر وعلى ضفــة النهر العاصي وبالقرب من سهل مشهور بخصبه وريفه

فحالما وصل موسى المذكور الى انطاكية توجَّه الى الدار البطريركيَّة وكان ذلك في الرابع عشر من ايلول الموافق عيد ارتفاع الصليب المقدَّس

وكانت الكنيســة الكاتدرائيَّة القديمة التي تجدَّد بناؤها مرارًا قد قامت فيها الطقوس والتراتيل وتصاعدت دخنــة البخور. وكان البطريرك جالساً بقرب الايقونوستاس على عرش عتيق قد نجا من النكبة الكبرى التي اصابت الكنيسـة الملكيَّة وكان الشمامسة يضعون على كتفيه قيصاً من الديباج محبوكاً بالذهب مربوطاً بالجلاجل رمزًا الى قميص

هرون. ثم جاؤوا بالامفوريون المحبوك بالذهب وكانت قد عُلقت به ذخائر القديسين واتوا بعدهُ بصليب الصدر وعصا الرعاية التي كانت تنتهي برأس حيَّتين متقابلتين. ومن بعد هذا كلّهِ لبس البطريرك التاج المثلَّث الذهبي وكان مرصعاً بصور الاثني عشر رسولاً ورَسْم الصليب المقدس بحجارة الماس

وكان رؤساء الاساقفة يحفُّون براعيهم والشمامسة يتبعونهُ بملابس سوداء وشعور طويلة مرسلة على أكتافهم. حتى ان من ينظر على نور الشمع ما بين دخنة البخور الى هؤلاء الاحبار ذوي اللحى الطويلة التي بيَّضها ثلج المشيب والسيماء الشبيهة بسيماء الاقدمين وهم بملابسهم الذهبيَّة يتوهَّم ان صور القديسين الاولين في الكنيسة اليونانيَّة قد نزلت من على الايقونوستاس الذي رسمها عليهِ أقلام البيزنطيين او ان الاساقفة المذكورين لشدَّة تمعُّنهم في هذه الصور الناتئة قد ارتسمت اشباهها على وجوههم فصارت هي هم

وكانت الرتبة الطقسية متلاحقةً ما بين التراتيل والصلوات ممَّا يحمل الحاضرين على الظن انهم في ايام فم الذهب وباسيليوس الكبير لان الملابس القدسيَّة ما زالت باقية كما كانت وكذلك التراتيل والسجدات غير انَّ اللغة قد تغيَّرت فقامت العربيَّة بدلًا من اليونانيَّة وفيها كانوا يقرأون القراءات والفصول المأخوذة من الكتاب المقدَّس امَّا الصلوات والطلبات فقد غير قليل منها كان يُتلى في السريانية (١

وبعد ان سكتت التراتيل وتبدَّدت دخنة البخور وتمت حفلة القداس تمكَّن موسى رئيس شامسة الكنيسة الانطاكيَّة ان يؤدي حساباً للسيد البطريرك عن المهمَّة التي سافر في شأنها

وقد تقبَّلهُ البطريرك المشار اليهِ محفوفاً باخصّ الموظفين في كرسيهِ وكان شيخاً جليلًا قد اثقلهُ وقر السنين ذا وجه كالشمع ولحية طويلة قد اشتعل فيها بياض المشيب كالايقونات المعلَّقة على جدران الكنيسة

وحالما قبَّل موسى يد رئيس الشمامسة يدهُ دفع اليهِ الرسائل التي اتى بها من قداسة الحبر الاعظم البابا بيرس الثاني مع سائر الاوراق التي جاء بها من رومية وبقيَّة اوربَّة

---

١) راجع المشرق ١٩٠١ ص ١١٢١ و ١٩٠٢ ص ١٠٤

وكان موسى المذكور قد التقى في مدينة سيانة ببيوس الثاني لدى رجوعهِ من مجمع مانتوة الذي انعقد للنظر في شؤُون الشرق (١ ومن هناك لحقهُ الى رومية

وكان قداستهُ قد تقبَّل في مواجهة خصوصيَّة مندوب البطريرك الانطاكي الذي كان في الوقت نفسهِ مندوبًا من قبل بطريركي اورشليم والاسكندريَّة (٢ واستعلم منهُ بعناية واهتمام عن احوال المسيحيين الشرقيين الذين كان يحب الوقوف على اخبارهم. ولمَّا كان البابا المذكور عالمًا كبيرًا حسن الاضطلاع بالعلوم الادبيَّة لدى اليونان واللاتين تحدَّث مليًّا مع موسى الذي كان ايضًا من العلماء الممتازين (٣

ولم يكتفِ البابا بما اظهر من ادلَّة الالتفات بل احب ان يتقبَّل في مواجهة علنيَّة رئيس شمامسة انطاكية لكي يتسلَّم منهُ بصورة احتفاليَّة رسائل الانضمام المبعوثة من قبل بطاركة اورشليم والاسكندريَّة وانطاكية (٤ وكان هذا الامر قد ابهج قلب بيوس الثاني الذي اذاع في هذه المناسبة منشورًا حبريًّا

وجرت لموسى ايضًا محادثات طويلة مع بساريون الكردينال اليوناني المشهور الذي افرغ كل مساعيهِ لإعادة الكنيسة اليونانيَّة الى الوحدة. وقد سلَّم بساريون الى موسى بعض كتابات من قبلهِ الى بطاركة الشرق يحرّضهم فيها على الثبات في تمسُّكهم بقوانين مجمع فلورنسة التي صادقوا عليها مع اساقفة الغرب (ستأتي البقيَّة)

محادثة لغويَّة

لحضرة الاستاذ رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير ومدرّس الخطابة في كليَّة القديس يوسف

سألني احد الادباء: ما تقول في «شكَرَ» هل من فرقٍ بين تعدّيها بنفسها وتعدّيها باللام؟

(قلتُ) انَّ معناها مع اللام هو معناها بدون اللام غير انها مع اللام افصح

(قال) انَّ احد علماء اللغة الجهبذ الخطير والعالم النحرير الشيخ ابرهيم اليازجي الذي انفق معظم العمر في البحث عن اسرار اللغة قد استدرك ما لم يذكرهُ احد من اصحاب المعجمات فاثبت في الضياء (١ : ٢٥٩) ان «الشكر يجب ان يعدَّى الى المشكور

١) راجع پاستور تاريخ الباباوات ٢) پاستور والمشرق (١ : ٦١)
٣) المشرق (١ : ٦٢) ٤) پاستور

لهُ اي المُنعِم باللام والى المشكور به اي النعمة بنفسه تقول شكرتُ لزيدٍ صنيعتهُ وشكرتُ صنيعةَ زيد. واذا قلتَ شكرتُ زيدًا فهو على تقدير مضاف اي شكرتُ نعمة زيدٍ. أما قول كتبة الجرائد شكر لهُ على احسانهِ وشكر لاحسانهِ وشكر لهُ لاحسانهِ فهو حائد عن الصواب في كل من الصور الثلاث »

(قلتُ) لا اتذكر ان احدًا من علماء اللغة نبَّه الى هذا الفرق ولو كان لهُ اثر من الصحّة لَما فاتهم علمهُ لانهم كانوا اوحب منّا فهمًا لكلام العرب لمكان مشافهتهم واعلى يدًا في تفسيرهِ لموضع مخالطتهم ومعاشرتهم. ومع ذلك هلمَّ نستفتِ المعجمات لعلّنا نجد فيها ما يصحح هذا التفريق الجديد والاختراع الحديث

وكانت لحدّثي خزانة جمعت عددًا من الكتب فنهضت واياهُ نستشير ما فيها من اسفار اللغويين فقلّبنا لسان العرب وتاج العروس والصحاح والمصباح فلم نعثر على عبارة واحدة تشير الى الفرق المذكور

(قال) انَّ الشيخ ابرهيم قد وقف بلا شك على أقوال هؤلاء اللغويين لاني اعرف مكتبتهُ قد وعت كثيرًا من مثل هذه المصنّفات التي لا ينقطع عن مطالعتها فاذا كان قد خالفها فذلك لسبب لم يتجلَّ لنا حتى الآن. أما تعلم انهُ قد خاض بحر اللغة ونحن لم نزل عند ساحلهِ ومن اين لنا ان نبلغ مبلغهُ من التحقيق

(قلت) متى كان الامر في هذه الدرجة من الوضوح لا يحتاج فهمهُ الى تبحُّر في اللغة فعبارة اللسان: « شكرتُهُ وشكرت لهُ وباللام أفصح.. وحكى اللحياني شكرتُ اللهَ وشكرتُ للهِ وشكرتُ باللهِ وكذلك شكرتُ نعمةَ الله... وفي الحديث لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ومثلها عبارة التاج. وعبارة المصباح ان « شكر يتعدَّى في الاكثر باللام » وعبارة الصحاح انهُ « يتعدَّى في الاكثر باللام وربَّما تعدَّى بنفسهِ » وكل هذه الاقوال بمكان من السهولة يستوي في فهمها الذكي والغبي. ولم يرد فيها شيء يدلُّ على ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى المنعم باللام والى النعمة بنفسهِ. أرأيت ان اللغويين الموثوق بهم لا يصوّبون مقالة شيخك بل يخطِّئونهُ

(قال) أجلّ الشيخ عن الخطإ ولاسيا في احكامهِ اللغويّة لكنَّهُ لمَّا رأى ان في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا اعتمد على كلام الزمخشري في الاساس حيث يقول « شكرتُ لله نعمتهُ واشكروا لي وقد يُقال شكرتُ فلانًا يريدون نعمة فلان »اه

(قلتُ) انَّ الزمخشري وان اختلفت عبارتهُ عن سائر اصحاب المعجمات فانهُ يعني ما يعنون ويريد نفس ما يريدون غير انهُ اوضح مرادهُ بالمثَل فقال «شكرتُ لهُ نعمتهُ واشكروا لي» ليبيّن ان الافصح في هذا الحرف ان يُعدَّى باللام سواء عُدّي الى المشكور لهُ او الى المشكور بهِ. ثمَّ اتبعهُ بقولهِ «وقد يُقال شكرت فلانًا» يعني بهِ ان تعديتهُ بنفسهِ قليلة كما نصَّ على ذلك سائر اصحاب المعجمات حتى قال المطرّزي ان «شكرهُ» لغة في «شكر لهُ». والظاهر انَّ قول الزمخشري بعد ذلك «شكرتُ فلانًا يريدون بها نعمة فلان» هو الذي غرَّ شيخك ابرهيم وحملهُ على الذهاب الى ان الشكر يجب ان يُعدَّى الى النعمة بنفسهِ وهو قول كما علمتَ بريء من الصحة كزعمهِ انَّ في تاج العروس ولسان العرب إبهامًا وقصورًا

(قال) ما اظنُّ ان هؤلاء اللغويين رُزقوا العصمة

(قلتُ) اذن عمَّن نأْخذ اللغة أعن الشيخ ابرهيم وحدهُ وهذا امر مستحيل لانهُ حتى الآن لم ينشر المعجم الذي قد طالما وعد بهِ فضلًا عن ان كتاباتهِ تشهد عليهِ بقصور الذرع وضعف العلم باللغة

(قال) لا اريد هذا

(قلتُ) فلماذا تكابر اذًا وتصرُّ وتقول ان المشاهير الذين قرأْنا كلامهم يضلُّون وشيخك وحدهُ لا يضلُّ ؟

(قال) لاني لم أرَ في كلامهم ما يوافق حكمهُ

(قلتُ) هذا في منتهى الغرابة. ومع ذلك فلا بُدَّ ان آتيك بنقول أُخرى كثيرة من اقوال غير هؤلاء من اللغويين المشهود لهم حتى لا يبقى في قوس عنادك منزع

(قال) افعلْ ان قدرتَ

فجئنا اذ ذاك بكتاب مفاتيح الغيب المشتهر بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي واوَّل ما تناولنا الجزء السابع منهُ فوجدناهُ يقول عند تفسيرهِ «وما انا بظلّام للعبيد»:

«الباء تدخل في المفعول بهِ حيث لا يكون تعلّق الفعل بهِ ظاهرًا ولا يجوز ادخالها حيث يكون في غاية الظهور. ويجوز الادخال والترك حيث لا يكون في غاية الظهور ولا في غاية الخفاء. فلا يُقال ضربت بزيد لظهور تعلّق الفعل بزيد. ولا يُقال خرجتُ وذهبتُ زيدًا بدل قولنا خرجتُ وذهبتُ بزيد لخفاء تعلق الفعل فيهما. ويقال شكرتهُ وشكرت لهُ لتوسط. فكذلك خبر ما لما كان مشبَّهًا بالمفعول الخ»

فما اتينا على آخر هذا الكلام حتى قال : من هو هذا فخر الدين الرازي ؟

(قلتُ) هو عالم كبير يختفي ضياء شيخك عند قدميهِ . ثم تناولت الجزء الثامن من الكتاب نفسهِ . واوّل ما فتحتهُ كان الصفحة ٦٧ فاذا بهِ يقول عند تفسيرهِ : فسبّح باسم ربّك العظيم

« قد تقدم مرارًا ان الفعل اذا كان تعلّقهُ بالمفعول ظاهرًا في غاية الظهور لا يتعدّى اليهِ بحرف فلا يقال ضربتُ بزيد بمعنى ضربت زيدًا . واذا كان في غاية الخفاء لا يتعدّى اليهِ الّا بحرف فلا يُقال ذهبتُ زيدًا . واذا كان بينهما جاز الوجهان فتقول سبّحتهُ وسبحتُ به وشكرتهُ وشكرتُ لهُ »

(قلتُ) وهل بقي في نفسك ريب ان شكر مع اللام هي مثل شكر دون اللام ولا صحّة لما قالهُ شيخك من ان شكر تتعدى باللام الى المشكور لهُ والى النعمة بنفسها

(قال) وهل تريد ان اسلّم بقول رجل اعجميّ أليس الرازيّ من الريّ في بلاد فارس ؟

(قلتُ) بلى

(قال) ومن اين للاعجمي ان يكون لهُ حكم في اللغة العربية ؟

(قلتُ) يا عجبا وكيف يحكم شيخك في اللغة وهو ملكيّ ينتسب الى الاصل اليوناني (راجع الضياء ص ٢٧٥) ويجول في عروقهِ الدم اليوناني . . .

(قال) لا شك انك من الجزويت

(قلتُ) بهم اعتزّ وشيخك يدعوهم « عصابةً فاضلة اشتهرت بالاجتهاد في إحياء رسوم العلوم ولاسيما في بلادنا الشرقيّة . راجع المشرق ٥:٢٨٧ »

(قال) ما لنا وللجزويت دعنا نرجع الى ما كنّا في صددهِ

(قلتُ) ما الفائدة وانت مكابر مصرّ . جئناك باقوال اصحاب المعجمات فقلت انّ الشيخ الجهبذ النحرير الموصوف بكل وصف خطير قد طالعها ومحّصها ولكنّهُ خالفها لغاية تقصر أفهامنا عن إدراكها فهل انحصر الفهم يا ترى في شيخك ؟ اتيناك بشهادة فخر الدين الرازي الذي تُعدّ شهادتهُ بالف شهادة فقلتَ انهُ من الاعجام وان شهادتهُ في العربيّة مردودة . وذهلت انهُ قد نشأ بين الاعجام مَن لهم الكعب العالي في حفظ اللغة وضبط قواعدها . أما ان سيبويه صاحب الكتاب من الاعجام ؟ أليس الزمخشري صاحب الكشّاف هو من الاعجام ؟ . اما ان ائمة كثيرين يضيق المقام دون

تعدادهم هم من الاعجام ايضاً ؟ فمن يرضيك اذًا اذا كان لا يرضيك لا اصحاب المعجمات ولا هؤلاء الائمة ؟

(قال) ابحث عن عالم عربي محض النسب واتني بكلامهِ

فاخذت شرح الكافية للامام الرضي فعثرت فيهِ على ما لم أكن اتوقَّعهُ وهو بحرفهِ :

« قيل في بعض الافعال انهُ متعدٍّ بنفسهِ مرةً ومرةً انهُ لازم متعدٍّ بحرف الجرّ وذلك اذا تساوى الاستعمالان وكان كل واحد منهما غالبًا نحو نصحتُك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك . والذي ارى الحكم بتعدي مثل هذا الفعل مطلقًا اذ معناهُ مع اللام هو معناهُ من دون اللام والتعدي واللزوم بحسب المعنى . وهو بلا لام متعدٍّ اجماعًا فكذا مع اللام فهي اذًا زائدة كما في « ردف لكم » الّا انها مطَّردة الزيادة في نحو نصحت وشكرتُ دون ردف »

(قال) لهذا الكتاب طبعتان فلعلَّ اصحاب الطبعة الثانية قد صحَّحوا فيها ما جاء في الاولى . فصبرتُ على اصراره وعناده وقلت هات الطبعة الثانية فجاءني بها فقلَّبناها فرأينا فيها في الموضع السابق ذكره هذا الكلام :

« ان فعلًا واحدًا قد يتعدى مرةً بنفسهِ الى المفعول فيُسمَّى متعديًا ومرةً بحرف الجرّ فيسمى لازمًا وذلك اذا تساوى الاستعمالان وغلب كلّ واحد منهما نحو شكرتك وشكرت لك . هذا ما قيل والاولى جعل اللام زائدة والحكم بتعدي هذه الافعال مطلقًا اذ معناها مع اللّام هو معناها بلا لام »

(قلت) أرأيتَ كيف الطبعتان تخطِّئان صاحبك وشيخك وكيف تصرّحان بانهُ لا اثر للفرق الذي اخترعهُ فلك أن تقول بالرغم عنهُ « شكرتك وشكرتُ لك وشكرتُ نعمتك وشكرت لنعمتك » دون تفريق

(قال) لا اقنع ولو جئتني بكتب الاولين والآخرين فشيخي نسيج وحدهِ وليس لقولهِ من دافع

(قلتُ) بالحق نطقتَ فابقَ على اعتقادك وارضَ بشيخك

وغادرتهُ آسفًا على ضياع ساعة من الوقت مع من ادبهُ في البحث كأدب شيخهِ

الفصح

تاريخهُ وبيان حسابهِ

للاب موريس كولنجت اليسوعي

قد اطَّلعنا في كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية على فصل حسن لابي ريحان محمد بن محمد المشهور بالبيروني اثبت فيهِ الحساب الفصحي الذي كان يجري عليهِ نصارى

الشرق في عهدهِ في اواسط القرن الحادي عشر فاحببنا تدوينهُ في المشرق بنسبة عيد الفصح. وقد انتهزنا هذه الفرصة لنلخص هنا ما هو منوط بالتاريخ الفصحيّ وحسابهِ القديم والحديث لانَّ الرسائل تتوارد علينا تترى سنويًا في هذا الشأن فتكون هذه النبذة جوابًا قريب المنال لا يبقي للسائلين ريبًا فنقول:

١ نبذة تاريخية في الفصح

تفيدنا اسفار التوراة انَّ الله امر شعبهُ بعد خروجهِ من رقّ عبوديَّة المصريين ان يقيم في كلّ سنة ذكرًا لخلاصهِ وهو عيد الفصح (פסח) كان يحتفل بهِ اليهود في اليوم الرابع عشر من بدر نيسان اول شهور السنة الاسرائيليَّة. وقد وقع موت المسيح في يوم الفصح كما جاء في الانجيل الطاهر وكان ذلك سنة ٣٠ من التاريخ الحالي(١ والفصح في تلك السنة كان يوافق السابع من شهر ابريل الرومي كما يرتإي ذلك ائمة العلماء في عهدنا وليس في ٢٥ آذار كما زعم القدماء.

فلمَّا ثبت قدم النصرانيَّة حتم رؤساء الكنيسة بان يقيم المؤمنون عيد الفصح في الاحد الواقع بعد بدر شهر نيسان اليهودي الموافق لبدر آذار الرومي وذلك ليُفرز بين المسيحيين والموسويين. على انَّ هذه القاعدة مراعاةً للمرتدّين من اليهوديَّة لم تكن مطَّردة وبقيت بعض الكنائس لاسيَّما افسس وما يليها من بلاد آسيا الصغرى تعيّد الفصح في الرابع عشر من بدر آذار مع اليهود وقد تصدَّى البابا ڤيكتور وامر بابطال هذه العادة وتهدَّد بالحرم من تجاوز اوامرهُ في خبر طويل ذُكر في المشرق (٢:٤٤٥). وقد صادق المجمع النيقوي على حكم البابا ڤيكتور وتقدَّم الى جميع الكنائس بالَّا تقيم عيد الفصح مع اليهود بل في الاحد التالي لبدر نيسان اليهودي اي آذار الرومي وذلك جريًا على تقليد كنيسة رومية المنتهي الى عهد الرُسل (٢. ولمَّا كان الفلكيون يجعلون في ذلك العهد الاعتدال الربيعي في ٢١ آذار الرومي نتج من ذلك انَّ عيد الفصح لم يقع مطلقًا قبل هذا اليوم. وقد كلَّف آباء المجمع بطريرك الاسكندريَّة بان يعهد الى قوم من الفلكيين في مدينتهِ بضبط الحسابات ورسم الازياج لتعيين يوم

١) بدء تاريخ النصرانية يبتدئ سنة ٧٤٩ لرومية كما رجَّح ذلك العلماء في ايامنا

٢) وقد أيد الله ذلك بآيات عجيبة ذكرها القدماء وجمعها العلَّامة الشهير الاب نيلس اليسوعي في كتابهِ كلندار الكنيستين (راجع الجزء الثاني منهُ ص ٢٨٦ حيث اثبت ما جرى في بعض الكنائس يوم عيد الفصح من امتلاء جرون المعموديَّة بماء سمويَّة ومن شفاء المرضى الخ)

العيد ثم ينبئ بهِ جميع كنائس النصرانيَّة ٠ فعمل. بَيْد انَّ بُعد المسافة وصعوبة المواصلات حالت مرارًا دون رغائبهِ فلم يتمَّ الوفاق المقصود في كل السنين وبقي الامر على علَّاتهِ الى زمن الاصلاح الغريغوري في القرن السادس عشر (راجع مقالتنا في اصول الحساب السنوي في المشرق ٣: ٢٢٥)

هذا وانَّ عيد الفصح يسبقهُ الصوم الاربعيني ذكرًا لصوم السيد المسيح اربعين يومًا في البريَّة يختلف وقوعهُ مع اختلاف زمان الفصح. وكان هذا الصوم في اوائل النصرانيَّة لا يتجاوز ستة اسابيع اي ٣٦ يومًا لانَّ الاحد لا يحلُّ فيهِ الصوم. ثم أُضيف على هذه الأَيام اربعة أُخرى في [illegible] اللاتينيَّة ليتمَّ عدد الاربعين فصار بدء الصوم في اربعاء الرماد. امَّا الكنائس الشرقيَّة فتبتدئ صومها في الاثنين السابق لاربعاء الرماد ولكن لمَّا كانت هذه الكنائس لا تصوم في ايام السبوت والآحاد (الَّا بيرامون القيامة) لم يتجاوز صومها ٣٧ يومًا بل هو اقلّ من ذلك لاجل الاعياد الواقعة في ذلك الوقت كعيد الاربعين شهيدًا وعيد البشارة وغير ذلك اذ لا صوم في هذه الاعياد

٢ حساب التاريخ الفصحي

انَّ الكنيسة تجري في نظام سنتها على الحساب الشمسي الَّا انها مراعاةً للتقاليد القديمة قد تبعت الحساب القمري في اعيادها المعروفة بالمتحولة وخصوصًا عيد الفصح الذي هو قطب هذه الاعياد المتنقلة وما انتقالها الَّا منوط بهِ. واعلم انَّ الكنيسة لا تتبع في حسابها الفصحي مسير القمر الفلكي لانَّ هذا القمر يختلف باختلاف موقع البلاد وانَّما جرت على القمر المتوسّط المعروف بالقمر الكنسيّ الذي يوافق شيئًا ما القمرَ الفلكي

فيكون مرجع المسئلة الى ما يأتي: متى يتعيَّن بالنسبة الى الشمس البدر الاوَّل الواقع بعد الاعتدال الربيعيّ اي بعد ٢١ آذار فاذا عُرف وقتهُ ويومهُ كان الفصح في الاحد التالي

فلحلّ هذا المشكل لا بُدَّ اولًا من معرفة الدور القمري وهو عدد السنين التي تمرّ على القمر قبل ان يعود الى توافقهِ مع دوران الشمس اعني حين يقع مبدأ السنتين الشمسيَّة والقمريَّة في يوم واحد وهو اليوم الاوَّل من كانون الثاني. وهذا التلاقي انَّما يكون مرَّة في كلّ ١٩ سنة لانَّ ١٢ شهرًا شمسيًا يساوي ١٢ شهرًا قمريًا باضافة ١١

يوماً اليها ولا تجد عدداً تاماً من الشهور الشمسيَّة يوافق عدداً تاماً من الشهور القمريَّة الّا في كلّ ١٩ سنة لانَّ ١٩ سنة شمسيَّة تساوي ٢٣٥ شهراً قمريًّا على التقريب وبضبط الحساب تساوي ٢٣٤ شهراً و ٠,٩٩٧٠٣٥ قسماً من الشهر

وعليهِ فانَّ معرفة التاريخ الشمسي الذي يوافق بدء الشهر القمري اي الاستهلال كافية لتعيين بقيَّة الشهور القمريَّة وذلك بان تُجمل ايَّام الشهور القمريَّة ٣٠ يوماً او ٢٩ بالتوالي لتوفية الكسر السابق ذكرهُ ٠,٩٩٧٠٣٥ .وبذلك تُعرف الشهور التي عدد ايَّامها ٣٠ يوماً من غيرها

واعلم انَّ في غرَّة كانون الثاني من السنة التي سبقت تاريخ الميلاد وقع فيها هذا التوافق بين السنة الشمسيَّة والقمريَّة فاعتبر العلماء تلك السنة كمبدإ الادوار القمريَّة. فتكون سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ هي السنة ١٩٠٣ منذ ابتدأت هذه الادوار وعليهِ فيكفي لمعرفة عدد هذه الادوار ان تقسم عدد ١٩٠٣ على ١٩ فتجد الحاصل ١٠٠ والباقي ٣ فتكون سنتنا الحاليَّة هي السنة الثالثة من الدور القمري المئة والواحد. والعدد الذي يدلُّ على سنة كلّ دور يُدعى العدد الذهبي. استخرجهُ اوَّل مرَّة الفلكي اليوناني ميتون فأعلم بهِ الاثينيين فرقموهُ باحرف ذهبيَّة في هيكل إلهتهم مينرفة وكان النصارى يكتبونهُ ايضاً في كتبهم الدينيَّة بالحروف الذهبيَّة ودُعي لذلك بالعدد الذهبيّ

واذا عُرف العدد الذهبي يسهل الانتقال منهُ الى بدء الدور ومنهُ الى معرفة عدد ايَّام الشهور مباشرةً بعدد ٣٠ يوماً ثم ٢٩ يوماً بالتوالي. وقد وُضع اقتصاراً قاعدة لمعرفة عمر القمر تسمَّى قاعدة القمر (épacte) يُستفاد منها معاً عدد الايَّام الفارقة بين السنة الشمسيَّة والسنة القمريَّة ثم يُعرف بها عمر القمر في ٣٠ كانون الاول من السنة المنصرمة. ولمَّا كانت السنة السابقة لتاريخ الميلاد هي بدء الدور القمري كانت قاعدة القمر في تلك السنة صفراً ويُدلّ عليهِ بنجمة (*) وفي آخر السنة التالية كانت قاعدة القمر ١١ ثمَّ في السنة التابعة ٢٢ ثمَّ ٣ ثمَّ ١٤ ثمَّ ٢٥ الخ. فيمكن بذلك اصطناع جدول للدور القمري مع الدلالة على قاعدة القمر على طريقة سهلة ولكن لا بُدَّ لهُ من بعض اصلاح ينتج عن العدد الكسري الذي سبق ذكرهُ اعني ٠,٩٩٧٠٣٥

ودونك جدولاً لهذه القاعدة يصحّ الاستناد اليهِ من سنة ١٩٠٠ الى سنة ٢١٩٩:

المدد الذهبي	قاعدة القمر
١	٢٩
٢	١٠
٣	٢١
٤	٠٢
٥	١٣
٦	٢٤
٧	٠٥
٨	١٦
٩	٢٧
١٠	٠٨
١١	١٩
١٢	*
١٣	١١
١٤	٢٢
١٥	٠٣
١٦	١٤
١٧	٢٥
١٨	٠٦
١٩	١٧

امَّا السنون التي يقع فيها بدء هذه الادوار القمريَّة فهي الآتية: ١٩٠٠, ١٩١٩, ١٩٣٨, ١٩٥٧, ١٩٧٦, ١٩٩٥, ٢٠١٤, ٢٠٣٣, ٢٠٤٢, ٢٠٦١, ٢٠٨٠, ٢٠٩٩, ٢١١٨,

مثال ذلك انَّ سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ هي السنة الثالثة من الدور القمريّ فعددها الذهبيّ ٣ وقاعدة القمر فيها ٢١ اعني انّ عمر القمر كان في غرَّة كانون الثاني ٢٢ يوماً. امَّا اهلَّة السنة فهي واقعةٌ في ١٠ كانون الثاني و ٨ شباط و ١٠ آذار و ٨ نيسان و ٨ ايَّار الخ ويكون بدر هذه الاهلَّة ١٣ يوماً بعد الأيَّام المذكورة

بقي علينا ان نذكر حساب الآحاد السنويَّة. ولو قسمنا ايَّام السنة ٣٦٥ يوماً على ٧ كان الحاصل ٥٢ والباقي ١ فينتج عن ذلك انَّ السنة تبتدئ وتُختم في يوم الاسبوع نفسهِ. فلو كانت السنون كلها بسيطةً لاقتضى الامر ان تبتدئ السنة في كل سنة من السنوات السبع بيوم من ايَّام الاسبوع وان يكون الدور الشمسيّ مركَّبًا من سبع سنوات لكنّ الامر ليس كذلك ولمَّا كانت السنة تُكبس مرَّة في كل اربع سنوات لزم ان يكون الدور الشمسيّ مركَّباً من ٧×٤ اي ٢٨ سنة كما ترى ذلك في الجدول الآتي حيث الحروف الابجديَّة « ا ب ج د ه و ز » تدلُّ على ايَّام الاسبوع:

ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦

ز ا ب ج د ه و ز ا ب ج د ه و ز ا ...
١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ١

فاذا عُرف هكذا العدد الموافق للدور الشمسي عُرف ايضاً في ايّ يوم من الاسبوع يقع اول كانون الثاني ومنهُ تعرف ايَّام الاحد في السنة والحرف الموافق للاحد الاول في كانون الثاني هو المدعو حرف الاحد وفيهِ واقعة كل آحاد السنة. ودونك جدولًا يبيّن لك حرف الاحد لمدَّة القرن العشرين كلهِ:

وبعد هذا فلا صعوبة لادراك حساب تاريخ الفصح كما ورد في قانون المجمع النيقوي والاصلاح الغريغوري. مثال ذلك سنتنا الحاليَّة ١٩٠٢ فان قاعدتها القمريَّة ٢١ وحرفها الاحدي ه كما تقدَّم ولمَّا كان البدر الاول (اعني اليوم ١٤ من الشهر القمري) الواقع بعد ٢١ اذار (اعني الاعتدال الربيعي) هو ٢٣ من هذا الشهر وكان الاحد الاول بعدهُ في ٣٠ منهُ نتج انَّ عيد الفصح هو في ٣٠ اذار. فمن ثمَّ ترى انَّ الفصح لا يسبق ٢٢ اذار ولا يتجاوز ٢٥ نيسان. ودونك جدول الحساب الفصحي الدائم

قاعدة القمر	الحرف الاحدي (١						
	ا	ب	ج	د	ه	و	ز
١	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٢	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٣	ن ١٦	ن ١٧	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٤	ن ١٦	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٥	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ١٥
٦	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ١٤	ن ٨
٧	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ١٣	ن ٧	ن ٨
٨	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ١٢	ن ٦	ن ٧	ن ٨
٩	ن ٩	ن ١٠	ن ١١	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٠	ن ٩	ن ١٠	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١١	ن ٩	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٢	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ٨
١٣	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ن ٧	ن ١
١٤	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ن ٦	ذ ٣١	ن ١
١٥	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ن ٥	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٦	ن ٢	ن ٣	ن ٤	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٧	ن ٢	ن ٣	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٨	ن ٢	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
١٩	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ن ١
٢٠	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٣١	ذ ٢٥
٢١	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٣٠	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٢	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٩	ذ ٢٣	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٣	ذ ٢٦	ذ ٢٧	ذ ٢٨	ذ ٢٢	ذ ٢٣	ذ ٢٤	ذ ٢٥
٢٤	ن ٢٣	ن ٢٤	ن ٢٥	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٦	ن ٢٣	ن ٢٤	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٧	ن ٢٣	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٨	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ٢٢
٢٩	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ٢١	ن ١٥
*	ن ١٦	ن ١٧	ن ١٨	ن ١٩	ن ٢٠	ن ١٤	ن ١٥

وفي ختام هذه النبذة التي نقدّمها على فصل البيروني يسرُّنا ان نفيد القراء انَّ غبطة بطريرك الفنار يواكيم الثالث اعلن

١) الحروف الابجدية تدلُّ على ايَّام الاسبوع وحرفا ن , ذ على نيسان وآذار

في ١٠ ك ١ في المجلة اليونانيَّة « الحقيقة الكنسيَّة » عريضةً طلب فيها من مجمع ملَّته الديني ومن بطاركة الكراسي الكبرى بان يفحصوا قضيَّة اصلاح الحساب من حيث الوجه العلمي والوجه الديني معاً. وقد تلقَّى اكثر الروم الاورثدكس هذا الطلب بتزيد الفرح لاسيما اليونان منهم في اثينة والرجاء وطيد انَّ عموم الاورثدكس في السنة القادمة يتخذون الحساب الغربي وممَّا يزيد هذا الامل ثقةً انَّ الروسيَّة جانحة اليه تريد اتخاذه عند افتتاح السكة الحديديَّة التي توصل بين اوربَّة والشرق الاقصى مارَّةً بسيبيريَّة. حقَّق الله هذه الاماني قريباً وجمع كل قلوب النصارى في الوحدة والاتفاق

مطبوعات شرقية جديدة

حياة سيدنا يسوع المسيح

تأليف الاب لاكامي الفرنساوي عرَّبها الخوري بطرس مبارك الماروني

طبع في بيروت في المطبعة الادبية (سنة ١٩٠١ ص ٥١٢)

لم تمرَّ علينا سنة منذ بشَّرنا الشرقيين (المشرق ٤: ٦٦٧) ببروز سيرة السيد المسيح للسيد المفضال المطران جرمانوس معقَّد وضعها على طريقة مبتكرة من شأنها ان ترغب القرَّاء في مطالعتها. واليوم قد اتحفنا حضرة الخوري الفاضل بطرس مبارك مدير الدروس في مدرسة الحكمة الزاهرة بتعريب سيرة أخرى حظيت قبولاً عند الفرنسويين ألَّفها السيد العلامة لاكامي (Le Camus) قبل ارتقائهِ الى كرسي الاسقفيَّة بمدينة لاروشال من اعمال فرنسة. وقد اطَّلعنا على هذه الترجمة فقد رأيناها حريَّة بكل ثناء تقرّب الى اهل بلادنا إدراك أسرار حياة السيد المسيح وتعاليمهِ الخلاصيَّة

وشتَّان بينها وبين تلك السيرة الخلاعيَّة التي ضمَّنها رينان الشهير بكفرهِ ضروبَ الاراجيف واصناف الخرافات ولم يستحِ صاحب مجلة الجامعة ان ينشرها آخرًا في مجلَّتهِ. ونرى في سيرة المسيح للسيد لاكامي احسن تفنيد لهذه السيرة الكاذبة. على اننا لا نجزم بصحَّة كل ما ورد في تأليف السيِّد لاكامي لانَّ لهذا الكاتب آراء لا تتجاوز الحدس والتخمين. ولعلَّ حضرة المعرّب امكنهُ في ان يلطِّف بعض الجملات او يشرحها في ذيل الكتاب. وربَّما جاءت في نفس التعريب بعض عبارات لم تؤدِّ تماماً معنى المؤلف

وهي ان أُخذت في حصر الكلام ليست بطابقة للمبادئ اللاهوتية من ذلك ما ورد في التمهيد (ص ١٠) عن سرّ الفداء انهُ « اضحى امرًا ضروريًا في حكم العقل الصائب » وكقولهِ في الصفحتين ١١ و ١٢ عن الاناجيل الاولى الثلاثة التي دعاها « جداول » وهو اسم لا يوافق معنى الافرنسيَّة (Synoptique) وكانَ الاولى ان يسمّيها الاناجيل المتشابهة او المتجانسة ثم قال عن الانجيليين الثلاثة « انهم نقلوا عن بعضهم » وانَّ في تلك الاناجيل « تباينًا وتشابهًا واتفاقًا واختلافًا وزيادة ونقصانًا » وفي كل هذه الالفاظ ما يمكنهُ ان يسبّب للقرَّاء سوء فهم إلَّم يشرحهُ شارح ولعلَّهُ يسوقهم الى الظنّ انَّ هذه الاناجيل اعمال بشريَّة محضة ليست بمنزَلة . هذه بعض ملاحظات خفيفة ابدينا بها لئلا يجد بعض القرَّاء عثرةً في هذا الكتاب النفيس الذي نحضُّ كلَّ المسيحيين على مطالعتهِ وتأملهِ شاكرين لحضرة المعرِّب همّتهُ في نقلهِ الى لغتنا

Étude sur la langue vulgaire d'Alep

par le P. Léon Pourrière O. F. M.

publiée par G. Kampffmayer, Berlin 1901, *pp.* 25

لغة حلب العاميَّة

لا يكتفي المستشرقون بدرس اللغات العاميَّة في الشرق عمومًا بل تراهم يفردون لكل قطر انحاءً خصوصيَّة تسهل عليهم المقابلة بين لهجة ولهجة علَّهم يقفون بذلك على فوائد ترشدهم الى احوال البلاد القديمة . ومن المقالات الحسنة التي نُشرت آخرًا في هذا المعنى نبذة حسنة لحضرة الاب لاون بوريار الفرنسيسي الحلبي ضمَّنها عدَّة ملاحظات عن لغة حلب العاميَّة ولفظ اهلها وتصرُّفهم بالحركات واعراب الاسماء وتصريف الافعال مع مجموع واسع لمفرداتهم وتعابيرهم وامثالهم ممَّا يُطلع بهِ الباحث على لهجتهم المخصوصة بهم . وهذه المقالة قد نشرها العلامة المدقق ج . كيفماير الذي اثنينا مرارًا على همَّتهِ في تدوين اللغات العاميَّة في انحاء الشرق ثمَّ ذيَّلها بحواشٍ زادتها ايضاحًا وفائدة ل . ش

شذرات

صدى الوطنيَّة هو عنوان قصيدة عامرة الابيات رفعها الاديب نعيم صوايا موسس ومدير المدرسة الوطنيَّة الكاثوليكيَّة في بعبدات الى قداسة

حبر الاحبار الكنيسة لاون تهنئة بيوبيلهِ الفضيّ هذا مطامها :

لرومةَ حيث الدينُ مبتسم ثغرا　　تضوّع ريّاهُ بما يشرح الصدرا
لعاصمة الحقّ التي اعتزّ ملكها　　بلاون واشتدّت بصولتهِ أزرا
لتخضع بار الله كلُّ سيادة　　مسيحيّةٍ ليست لتنبذَ الامرا
فما مؤمن من لا يطأطئ رأسهُ　　لديها ويجثو لاثمًا قدمهُ العَفرا
على انها من عالم الروح حكمها　　فمن لم يدِنْ منا اختيارًا يدن قسرا

ومنها قولهُ يمدح لاون الثالث عشر :

فانّى توجّهنا وجدنا لفضلهِ　　مآثر لا تفنى وقد افنت الدهرا
ولابسًا في الشرق حيثُ تدفّقت　　اياديهِ كالانواء تستغرق الحصرا
وبات براعينا بطرف رعايةٍ　　خصوصية يُحيي الليالي لا يكرى

وقال : إمام ندى كلُّ القلوب تقيّدت　　باحسانهِ في سجن طاعتهِ أسرى
وبدر هدًى لا كالبدور وانما　　لهُ سَنَنٌ ما حاد عنهُ ولا ازورّا
تسابقت الاقوام من كل وجهةٍ　　بيوبيلهِ الفضيّ مهديةً تبرا
فأسعد بهِ يوبيلَ حبرٍ تأرّجت　　بافضالهِ ارجاء لبناننا نشرا

ومنها : تواضعَ عن علمٍ وللجاه حولهُ　　مجالي جلالٍ وَصفها يُعجز الفكرا
وللكبر في يوبيلهِ كلُّ شارةٍ　　تزيّن في عيني قداستهِ الكبرا
ولكنهُ كالغصن ما زاد حملهُ　　يزدْ ميلُهُ للارض محدودبًا ظهرا

ولهُ في مدح المرسلين :

لذا من لدنك المرسلون بمشتّهم　　ينادون بالايمان بين الملا طرًّا
فلم تخلُ منهم بقعةٌ في بلادنا　　وحيث ثووا شادت مساعيهم القفرا
يبثّون لا يخشون لومة لائمٍ　　على الحق من ذاكي شمائلك العطرا
وربَّ امرئٍ شاكٍ من العسر أمّهم　　فما ابطلوا شكوى ولا اثبتوا عُسرا
ولا فرق بالاحسان في شرع جودهم　　اذا كان زيدًا مَن يرجّيهِ او بكرا
وحسبيَ منهم ما وصفتُ ولم أجر　　فعلمك من علمي باوصافهم ادرى
وشعريَ فيهم فيك اذ هو شاعر　　بانّهمُ منك استفادوا الذي مرّا
كزُهر نجوم تستمدُّ ضياءها　　من الشمس لا يشرقنَ ان قرنها ذرًّا

ترقّي الكنيسة في عهد البابا لاون الثالث عشر انّ عدد الكاثوليك في هذا ربع القرن الذي تولى فيهِ ابو المؤمنين البابا لاون الثالث عشر قد زاد نيفًا وستّة ملايين. وفي ايّامهِ قد أُنشئت بطريركيّتان وعشرون كرسيًا لرؤساء اساقفة و ١٠٩ اسقفيّة وثلاث قصادات رسوليّة و ٧٥ نيابة و ٣٥ ولاية رسوليّة

تبنيج الاسنان انّ الوسائل المستعملة حتى الآن لتبنيج

الاسنان قبل قلعها او اصلاحها. لم تفِ تماماً بالغاية المطلوبة. وفي هذه السنة وقف الاستاذان رينار (Reynier) ودسبوري (Disbury) على الطريقة المثلى لذلك وهي الجاري الكهربائيّة الشديدة التواتر فانها تمكّنا من تبنيج الاسنان مدة نيف وربع ساعة بحيث يمكن الطبيب ان يعمل العمليات التي يشاء دون ان يحسّ المريض بوجع البتة فضلاً عن ان هذه الطريقة لا خطر منها على المصاب باسنانهِ

اختراعات جديدة للعميان — اخترع الدكتور دوسو الباريسي آلات جديدة لمنفعة العميان نخصّ منها بالذكر آلتين نفيستين الواحدة منهما تمكّن الاكمه من الكتابة بالحروف الناتئة بحيث يستطيع ان يراجع ما كتب ويصلحهُ اذا شاء. والاخرى تفيدهُ لرسم الصور والنقوش البارزة كما يصنع المبصرون بقلم الرصاص

الهلال والبابويّة — قد أُصيب صاحب الهلال بآكلة في لسانهِ فتراهُ يخوض في ابحاث شتى وهو لا يعلم مواردها من مصادرها. فمن ذلك فصل كتبهُ عن البابويّة في عددهِ الصادر في ١٥ مارس (ص٣٥٧) اكثر فيهِ من الخلط عن سلطة الاحبار الرومانيين وبيَّن لكل ذي عقل نيّر انهُ لا يعرف من امور البابويّة شيئاً ولو حاولنا تفنيد أقوالهِ غير الصحيحة لما وجدنا في نبذتهِ سطرًا دون مغامز نأخذها عليهِ. فما لهُ اناره الله لا يسكت عمّا يجهل فيصون عرضهُ عند اصحاب المعرفة

الميكروب الجزويتي — قد مُني صاحب الضياء بداء خبيث يعدُّهُ الاساة من اسوإ الادواء واوخمها عاقبةً ألا وهو الميكروب الجزويتي الذي لا يتسلَّط على احد الَّا هاج وماج حتى لا يعود ينظر ولا يسمع ولا يصرخ الَّا « جزويت جزويت » كأنَّ هذه الكلمة وحدها تنوب عن كل برهان وتقتل اصحابها بسيف بتّار. ومن اقوالهِ الاخيرة الدالّة على تفاقم الداء انهُ قال عن الجزويت ما نصّهُ (ص٣٧٣): « قد رزقنا الله هؤلاء الآباء الجزويت يتلاعبون باللغة وبنا كما شاؤوا وشاء مبلغ علمهم ورحمهم علينا » فلا شك في انَّ مثل هذه الاقوال الغريبة تظهر علانيةً للقراء انَّ الميكروب بلغ الى طورهِ الحادّ فيصعب تلافي الداء وشفاؤهُ فنطلب الى معارف المريض واصحابهِ ان يذكروهُ في صلاتهم

مخطوطات في الالفاظ الكتابيّة — افادنا حضرة القانوني البارع جرجي افندي صفا انهُ راجع النبذة التي اثبتناها في مقالتنا عن مخطوطات الالفاظ

الكتابيَّة (المشرق ٢٨٠) نقلًا عن نسخة غير تامة للشيخ الفاضل شكري افندي الآلوسي في دار السَّلام فقابلها مع الفصل نفسهِ في نُسخة كتابهِ بحر الاسجاع (المشرق ٢٨١) فوجد ان النسختين كتاب واحد غير انَّ نسختهُ تامَّة والنسخة البغداديَّة غير كاملة. وانَّ ما ذُكر انهُ الباب الاول في تلك النسخة هو بالحقيقة الباب التاسع عشر فيكون الساقط ١٨ بابًا. ويوجد مع ذلك اختلافات في الرواية نثبتها ان شاء الله اذا ما تفضَّل حضرة الاب انستاس الكرملي فارسل لنا نبذًا أُخر لتسهل المقابلة بين الكتابين. ومَّا يُستفاد من نسخة جناب جرجي افندي صفا انَّ نسختهُ تمت في رجب سنة ... (١١٣٥م) ر ن الناسخ اسمهُ عبد الله بركة الطبيب

الحسابان الشمسي والقمري نشكر لحضرة رئيس مدرسة القصير الخوري جبرائيل ... على نبذة ارسلها الينا في بيان صحة الحساب الغربي فلكيًّا ولا حاجة الى ايرادها بعد ما كتبنا في المشرق عن هذا الموضوع

أسئلة وأجوبة

س كتب الينا د. ي. من ادباء البلدة ما نصهُ: طالعت بديعيَّة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي الشاعر المشهور فاذا في مطلعها كلمة «أَبرَعَ» فراجعت كتاب محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني فلم اجدها فيهِ فقصدت ان اسأَلكم عنها لانَّ مثل الشيخ لا يستعمل لفظًا لم تذكرهُ المعجمات المطوَّلة فارجو من فضلكم ان تجاوبوا على هذا السؤال وتذكروا في الجواب موضع وجودها فعل أَبرَعَ

ج راجعنا خمسة عشر معجمًا في خزانة كتبنا الشرقية فلم نجد لأَبرَعَ ذكرًا

س وسأَل حضرة الخوري بطرس الباني من المرقب: كم هو الفرق بين بدء الصوم عند الكاثوليك والارثذكس في السنة الحالية وهل هو ٣٥ يومًا كما ورد في جدول الشحيمة المارونية الصغرى بدء الصوم عند الروم الاورثذكس

ج كان بدء الصوم عند الروم في هذه السنة اربعة اسابيع بعد بدئهِ عند الكاثوليك فالفرق بين المِلَّتين ٢٨ يومًا لا ٣٥ يومًا كما ورد بالسهو في جدول الشحيمة المذكور

س سأَل حضرة الخوري ابراهيم سبع ق ب لاي سبب لم يعيّد الفصح في هذه السنة يوم احد الشعانين والبدر الاول بعد الاعتدال الربيعي كان يوم الجمعة قبل سبت العازر احد الفصح في هذه السنة

ج قد وهم حضرة السائل بظنهِ ان البدر وقع في الجمعة قبل سبت العازار بدلًا من الاثنين ٢٤ آذار (راجع مقالة الاب كولنجت في حساب الفصح ص ٣٢٦)